الطلسم الملعون

daralmotaqa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

ردمك: 978-977-6593-18-3

رقم الإيداع القانوني: 2017/23811

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

00201003528058

daralmotaqa@gmail.com

اللعنات لا تموت ... إنما يتوارثها الأبناء

الطلسم الملعون

كوكبة من كتاب الرعب من مختلف أنحاء الوطن العربي

ملتقى المعرفة
للنشر والتوزيع

daralmotaqa@gmail.com

الطلسم الملعون

فكرة وتنسيق

ميرفت البلتاجي

أسماء أحمد ونان

المقدمة بأقلام

أسماء ونان

ميرفت البلتاجي

محمود عبد العال

اللعنات لا تموت ... إنما يتوارثها الأبناء

daralmotaqa@gmail.com

قبل ٤٠٠٠ عام

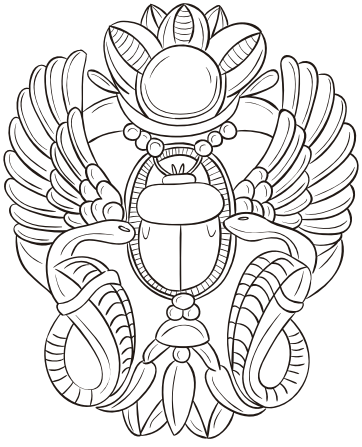

انطلق النفير معلنًا قدوم موكب الفرعون، في الأفق ظهر قطاران من العبيد، عراة الجذع، يتبعهم موكب رجال الدولة، يليه عرش الفرعون يجلس عليه، يحمله أربعة من العبيد الأشداء، كان هذا اليوم هو المشهود في الاحتفال السنوي الذي يقام كل عام لتحدي السحرة، التحدي اليوم سيكون في ذروته، طرفاه هما أعتى وأقوى سحرة مصر في هذا العصر، فقد أورثوا السحر وفنونه عن أجدادهم، سحرة فرعون الذين أسلموا على يد كليم الله موسى، بعد أن ثبّتوا دعائم وأصول السحر والاتصال بالعالم الآخر في مؤلَّفات توارثتها الأجيال، إلى أن وصلت بهم البراعة لآخر حدودها، فكان سجالًا بين طرفي القوى. انطلق النفير مرة أخرى بصوته النشاز يخترق ضجيج الجماهير المترقبة.

ظهر «ريموتابي» كاهن معبد آمون، (الطرف الأول) في التحدي. كان ظهوره مباغتًا في منتصف الساحة، وكأن الأرض قد انشقت عنه، انطلقت صيحات الانبهار بين جمهور الحاضرين، لاسيما الفرعون الذي نظر إلى وزيره نظرة رضا وثناء.

انطلق النفير مرة أخرى، استرهب أعين الناس بساط طائر يقف عليه الساحر الآخر «سيونامون»، وسط صيحات استهجان، إذ إن «سيونامون» معروف بممارساته للسحر الأسود، وهو ما أدى

لاستبعاده من كهانة آمون، مما أوغر صدره على كهنة المعبد جميعًا، لاسيما «**ريموتابي**» غريمه اللدود اليوم.

وقف الساحران وجهًا لوجه في انتظار سقوط المنديل من يد الفرعون كإشارة متفَق عليها لبدء النزال؛ وسقط المنديل، وقبل أن يلمس الأرض رفع «**سيونامون**» يده إلى أعلى وصرخ صرخة تحول معها إلى موجة ترابية عاصفة تدور حول محورها وتتجه إلى حيث يقف «**ريموتابي**»؛ وفى حركة أذهلت الفرعون ونالت رضاه، لم يتحرك «**ريموتابي**» ولو قدر شعرة، حتى مع اقتراب العاصفة على بعد مسافات قليلة منه، وبثبات انفعالي منقطع النظير، حرك يده في الهواء محدِثًا موجة من الماء؛ وكأن ينبوعًا انفجر بين يديه، وتكفل الماء بالحد من توغل العاصفة الترابية ليتحول «**سيونامون**» لحفنة من التراب ملقاة على الأرض، قبل أن تتجمع مرة أخرى مكونة جسده من الأسفل بسرعة مذهلة، إلى أن رُسمت ملامح وجهه الذي بدت عليه أعتى أمارات الغضب، بعد أن خسر جولته الأولى أمام عدوه اللدود «**ريموتابي**».

هلل الحشد بحماس لـ«**ريموتابي**» الذي حان دوره في الهجوم، اشرأبت الرءوس تتطلع بلهفة وفضول يراقبون بدقة ما ينتوي عليه.

أدار ظهره لساحة النزال، بينما انتبه «**سيونامون**» مترقبًا لحظة الهجوم وقد تحولت عيناه بأكملها إلى اللون الأسود، صرخ «**ريموتابي**» صرخة فزِع لها كل الحاضرين، وبينهم «**سيونامون**» الذي أخذ ينظر لأعلى وكأنه استشعر بالهول الذي سينقض عليه بعد لحظات من السماء.

فجأة حجب ضوء الشمس ما حسبه الحاضرون سحابة سوداء، ولكن بعد اقترابها تَبَيَّن أنها الآلاف من طيور سوداء لم يُر مثلها من قبلُ، ما إن رآها «سيونامون» حتى فزع، ثم تمالك جأشه وصرخ متحولًا إلى أفعى ضخمة، ولكن كيف للأفعى أن تجابه هذا الهجوم المسعور، هاجمت الطيور بمناقيرها الحادة جسد الأفعى محدِثةً جروحًا نازفة عميقة، عاد «سيونامون» على إثرها إلى هيئته الآدمية، فوضحت إصاباته بجروح قاتلة، سقط على إثرها أرضًا، وهو يلوح بذراعه الممزق الجلد حتى برزت عظامه، يشير إلى «ريموتابي» ويتمتم بصوت خافت، ثم أشار إلى تابعه، وهمس في أذنه بكلمات أومأ لها تابعه برأسه علامة على فهمه، وركض مبتعدًا.

صرخ بعدها «سيونامون» قائلًا: «لا تحسبن نفسك قد انتصرت أيها الكاهن، إن هي إلا جولة واحدة، جلبت لنفسك ولذريتك بها اللعنة، سأعود أيها الكاهن، سأعود وعندها، ستكون أرواحكم ملكًا لي».

وسقط بعدها ميتًا جسدًا باليًا ممزق الأوصال. بنى له تابعوه مقبرة عظيمة على غرار مقابر الملوك، استمروا أربعين ليلة يتناوبون على البقاء داخلها دون أن يعرف أحد السر وراء تصرفاتهم الغامضة.

في الليلة الأربعين، عُثِر على «ريموتابي» ميتًا بأبشع ميتة، وقد قُطعت جثته إلى أجزاء صغيرة بطريقة لم يعهدها حتى كهنة فرعون من قبلُ.

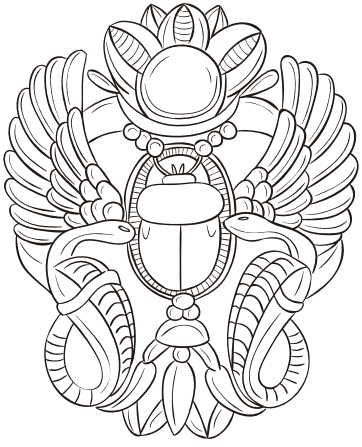

عام ٢٠١٥

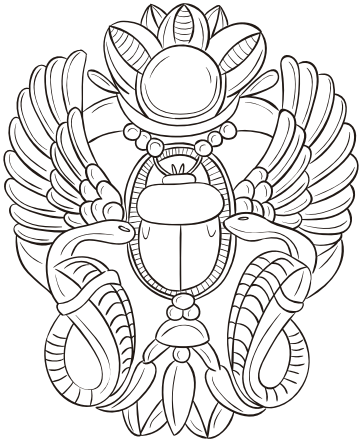

تلفَّتَ حوله بارتياب وهو يجتاز أحد شوارع المعز القديمة، يزداد ارتيابه كلما اقترب منه أي شخص، ويتفصد عرقًا ويكاد يبول في بنطاله حتى يبتعد دون أن يعيره أي اهتمام، فتعود له أنفاسه بعد طول انقطاع، ويعيد قلبه انتظام ضرباته مرة أخرى.

لم يعد يكترث بالنظرات الساخرة التي تلاحقه أينما حل، بل لم يعد يهتم بأي مخلوق على وجه البسيطة، ليس بعد كل ما مر به من أهوال على أية حال.

وصل أخيرًا لهدفه حيث يحلو له الجلوس لساعات بين عبق التاريخ المنسي لهذا الحي العريق في أصالته، وفي ركنه المفضل الذي ولسببٍ ما يجده دائمًا شاغرًا وكأنه بانتظاره، لم يبالِ بتحيات بعضهم وهو يخترق الزحام في المقهى ليصل لمكانه المفضل، يبدو أن اليوم مباراة هامة بين قطبي الكرة في مصر، فهذا الزحام لا يكون كل يوم حول شاشة التلفاز العملاقة المتصدرة أحد جدران المقهى، وهذه ميزة أخرى لمكانه المفضل لم يكن يعرفها، فهو بعيد عن مريدي الشاشة الكبيرة المسطحة، وعن إزعاجهم وشجارهم في أحيان كثيرة.

وصل صبي القهوة بإزاره الأبيض الملوث ببقايا مشروبات الزبائن، مسح الطاولة المستديرة وسأله بابتسامته المعتادة:

– السحلب المخصوص يا أستاذ «مفرح»؟

أومأ له بذهن شارد ثم شرع بالنظر من النافذة المجاورة كما اعتاد، ولكنّ شيئًا ما أثار انتباهه، فصبي المقهى ما يزال واقفًا، نظر له بعلامات استفهام تتراقص في عينيه، فأجلى الصبي صوته:

– «لا تؤاخذني يا أستاذ «مفرح»، أعلم أنك تفضل الوحدة وعدم الإزعاج، ولكن...»

زفر بانزعاج واضح وهو يسأله بصوت مبحوح متحشرج:

– «ولكن ماذا يا علي؟ أنجز يا بني».

– «عفوًا يا أستاذ «مفرح»، هذا الرجل ينتظرك منذ خمسة أيام، منذ آخر مرة قمت فيها بزيارة المقهى، وعندما علم أنك مهما طال بك الغياب تعود لمكانك المفضل هنا، أصر على أن يأتيَ كل يوم منذ الصباح وحتى موعد إغلاق المقهى».

اشرأب الأستاذ «مفرح» برأسه ينظر حيث أشار الصبي، ثم سأله بنبرة صوته الغريبة، ولكن بكثير من الارتياب والخوف يطل من عينيه:

– «ومن يكون؟ أنا لا أعرفه، أخبره أنني لم...».

هتف الصبي بإحباط:

– «فات الوقت، يبدو أنه تعرف عليك بالفعل وها هو في طريقه إلينا».

همَّ الأستاذ «مفرح» بالهروب قبل أن يصل إليه، ولكن الرجل ناداه بإلحاح:

– «أرجوك يا أستاذ «مفرح»، أتوسل إليك، اسمعني أرجوك».

شيء ما في نبرة الرجل أوقفه عن تنفيذ قراره بالهروب، ثم ملامحه السمراء، بريق عينيه المريح للنظر، وكأنه أحد معارفه القدامى، لم يعرفه تمامًا، ولكنه وقف مكانه حتى اقترب منه، ومد يده يسلم عليه، هنا عادت نظرة الارتياب والتشكيك مرة أخرى، فهتف الصبي:

– «لا تؤاخذه يا أستاذ «خالد»، الأستاذ «مفرح» لا يصافح أحدًا».

أنزل «خالد» يده إلى جواره وأومأ باحترام للرجل:

– «عفوًا، لم أعرف، هل تسمح لي ببعض من وقتك فقط»؟

– «ولماذا؟»

أشار «خالد» لأحد المقاعد بالجوار:

– «أرجوك اسمح لي بالجلوس أولًا، ونطلب من «علوة» كوبين من الشاي».

هتف «مفرح» بنزق:

– «لا أشرب الشاي، واسمه علي».

ضحك الصبي:

– «الأستاذ «مفرح» هو الزبون الوحيد الذي يناديني باسمي الأصلي».

أومأ «خالد»:

– «وأنا أيضًا أفضله، لو تسمح يا أستاذ «علي»، كوبًا من الشاي لي وطلب الأستاذ «مفرح» المفضل».

هتف «مفرح»:

«ولكنني لم أسمح لك بعد بـــ...»

رفع «خالد» حواجبه بعد أن جلس بالفعل على أحد المقاعد التي سحبها، ثم أشار لـ «مفرح»:

– «تفضل بالجلوس، أعدك أنني لن أتطفل على وحدتك كثيرًا».

زفر «مفرح» بضيق وهو يجلس يحاول مداراة ارتياح ضمني بين تعابير وجهه، فهذه المرة الأولى منذ شهور عديدة يسعى أحدهم إلى الحديث معه، بدون أن يظهر في صوته أو ملامحه أي سخرية:

– «تفضل، ومن فضلك اختصر».

زفر «خالد» بارتياح، ثم وضع بعض الأوراق والأقلام أمامه، ينشغل لحظات في ترتيبها، وفجأة رفع عينيه لـ «مفرح» ليضبطه يراقبه باهتمام، أخفى ابتسامة نصر، ثم سأله بجدية:

– «أنت تذكر ما حدث منذ سنة، في مقبرة الكاهن الفرعوني».

هب «مفرح» واقفًا يصرخ بانفعال:

– «لم يحدث شيء، ولا أعرف أي مقابر فرعونية، من أنت وماذا تريد مني؟»

– «اهدأ يا أستاذ «مفرح» أرجوك، أنا صحفي ما زلت في أول مشواري الصحفي، وسمعت حواديت كثيرة عما حدث في ذلك اليوم، واطمئِنّ، لم أصدق كلمةً واحدةً عما يقال عنك؛ أنك أُصبت بلوثة من الجنون نتيجة لعنة الفراعنة».

سأله «مفرح» بعدم تصديق:

– «حقًّا، أنت لا تصدق أنني مجنون؟».

– «بالطبع لا، أنا أصدق كل كلمة سمعتها».

– «لماذا أنت هنا إذن؟ لماذا لا تكتب هذا في جريدتك، أو مجلتك التي تكتب فيها؟».

– «أنا هنا لهذا الغرض، لأسمع منك وأكتب ما تقول، بدون حرف زيادة، أو نقصان».

– «وما الذي يضمن لي أنك لن تتهمني بالجنون بعد أن تسمع التفاصيل، كما فعل من سبقوك؟».

– «لا أحمل أي ضمانات، سوى كلمة شرف».

قهقه «مفرح» بحشرجة قوية:

– «كلمة شرف!! يا له من ضمان».

– «أنت لن تخسر شيئًا يا أستاذ «مفرح»، وربما أكون السبب في أن يسمعك ويصدقك العالم».

– «أنت لا يهمك أن يصدقني العالم، اهتمامك الوحيد أن تفوز بسبق صحفي».

– «سيفوز كلانا، في حال نجاح السبق الصحفي، إنها مخاطرة، ولكن نسبة النجاح فيها أكبر بكثير مما تتخيل».

أطرق «مفرح» مفكرًا لعدة دقائق حتى ظن «خالد» أنه خسر معركة إقناعه، ثم رفع رأسه ببطء يحدق في الشاب:

– «ماذا تريد أن تعرف؟».

بحماس فتح «خالد» أحد دفاتره وسأله:

– «أول سؤال، هل كان صوتك بهذه النبرة منذ وقت طويل؟».

– «لا، فقط منذ ذلك اليوم المشئوم، ولم يعد لطبيعته أبدًا».

دوَّن «خالد» بعض الملاحظات ثم هتف:

- «الآن أخبرني كيف بدأ ذلك اليوم؟».

أشاح «مفرح» بنظراته بعيدًا وهو يتذكر ما حدث منذ عام.

* * *

«كان هذا هو اليوم الأخير للحفر في هذا الموقع الذي حددته خرائط وزارة الزراعة، والمتوقَّع أن يتم اكتشاف كبير لمقبرة أحد السادة، ولكن حتى هذه اللحظة لم يجد العمال أي شيء، فقرر إيقاف العمل وإنهاء المهمة، قبل أن يهم بالتنفيذ، سمع صوت رنين معدني عندما اصطدم معول أحد الحفارين بجسم صلب أصدر صوت رنين معدني، فانتبه الجميع بما فيهم هو، توجه إلى موقع هذا العامل، وأمر الجميع بالتركيز على هذا الموقع، وارتفعت الآمال بعد نوبة من اليأس اجتاحت النفوس.

في اليوم التالي...

دخل سكرتير مكتب وزير الآثار وروى له ما حدث في الليلة السابقة، وشكوكه بأن هذه المقبرة لساحر من كبار السحرة، ولكن العجيب أنها تبدو كأنها لملك من ملوك قدماء المصريين، فضلًا عن التحدي المعلن على جدرانها لمن أُطلق عليهم الملعونون الأحد عشر، وتلك الصور الغريبة لأشخاص بهيئات حديثة، لا تشبه بأي حال من الأحوال الزيَّ الفرعوني، ثم هذا الطلسم العجيب والذي لم يستطع قراءته، حتى مَن يمكن اعتبارهم من أفضل علماء اللغات القديمة في مصر.

في اليوم التالي أعلن الوزير بنفسه عن الكشف الأثري معدِّدًا

مظاهر تفرد وعظمة تلك المقبرة، ثم أعلن عن التحدي المنقوش على جدرانها، اعتقادًا منه بأنه سيكون عامل جذب للسائحين، وتم تدشين موقع على شبكة الإنترنت لتلقي طلبات التحدي من مختلف أنحاء العالم، مع نشر بعض الصور التي تم التقاطها من داخل المقبرة، خصوصًا صورة التابوت الضخم ذي اللون الأسود الغطيس، على خلاف توابيت ملوك الفراعنة.

كانت المفاجأة في يوم فرز طلبات التحدي، كل الطلبات قد تم رفضها تلقائيًّا، عدا أحد عشر طلبًا تم قبولهم، اعتقد القائمون على الموقع أن جهة غير معلومة قد عبثت بمحتويات الموقع أو أنها أطلقت فيروسًا ما، فتم إبلاغ الوزير بما حدث، والذي حول الموضوع برمته للشئون القانونية والتي اتصلت بمباحث الإنترنت، وبعد تقصي الحقائق كانت النتيجة صادمة لهيئة مكتب الوزير والذي ظل الأمر سرًّا بين جدرانه.

نفث الوزير دخان سيجارته وهو يحدق في سكرتير مكتبه:

– «على حسب تقارير مباحث الإنترنت، لم يحدث أي اختراق للموقع، ما تفسير ما حدث إذن، ولماذا تم قبول طلبات هؤلاء الأحد عشر شخصًا دون غيرهم؟»

لوح السكرتير بذراعه بحيرة بالغة:

– «الأمر مثير للحيرة، ولكنه أيضًا مثير للفضول، ويمكننا طالما تأكد لنا عدم تدخل أي جهة غير معلومة بنية التخريب، لم لا نجاري الأحداث؟».

حك الوزير لحيته الخشنة:

– «تقصد أن نسمح لهؤلاء الأحد عشر بدخول المقبرة».

– «بالطبع، على الأقل حتى نحافظ على مصداقية وزارة الآثار، ويمكننا القيام بحملة هائلة للدعاية للترويج لحالة السياحة الراكدة هذه الفترة من العام».

أومأ الوزير برأسه موافقًا، ثم نهض من مقعده في تحفز وهو يقول:

– «إذن فلنعلِم في وسائل الإعلام بموعد فتح المقبرة للتحدي، على أن يضفوا على الحدث صبغة العالمية، أنت على حق؛ نحن بحاجة لفكرة مبهرة لتنشيط السياحة، وها هي بين أيدينا، لم لا نستغلها كما يقول الكتاب».

أومأ السكرتير برأسه موافقًا فأكمل الوزير قائلًا:

– «أرسل للأحد عشر شخصًا بموعد الدخول للمقبرة على أن تَعُدَّ لي بحثًا أمنيًّا كاملًا عن كل منهم، لا نريد أن نسمح بدخول من يرغب في التخريب أو السرقة، أو تشويه صورة الدولة وأجهزتها، ولا تنسَ، أعِدّ خطاب تكليف للبروفيسور «مفرح» لينضم إليهم، ليكون عينًا لنا عما يحدث داخل المقبرة».

أومأ السكرتير وانصرف.

بعد ثلاثة أيام...

– «سيدي الوزير، المتحدون الأحد عشر بانتظار العرض في الغرفة الزجاجية».

أومأ الوزير برأسه ونهض بصحبة سكرتيره حيث تم جمع كل من

تم قبول طلبهم لدخول مقبرة الساحر، وقف الوزير في غرفة مجاورة ثم أعطى الأمر للسكرتير، والذي أعطى الأمر بدوره للمهندس المسئول ففتحت نافذة مطلة على الغرفة الأخرى حيث يجلس اثنا عشر شخصًا في تململ وانتظار، غافلين تمامًا أنهم مراقَبون من خلال ما يظنونه مرآة مثبتة في أحد الجدران، أشار السكرتير لأحد الأحد عشر:

– «تلك الشقراء «فيرونكا» عالمة آثار فرنسية من ناحية الأب، والأم من المغرب العربي».

التفت له الوزير متسائلًا فأردف السكرتير:

– «إنها مجرد صبية لم تتخطَّ عامها التاسع والعشرين، تطمح في الشهرة التي ستنالها من قبول التحدي ودخول المقبرة، لقد أَجريتُ معها مقابلة بنفسي، ليس لديها أي طموح أبعد مما ذكرته».

همهم الوزير وأعاد النظر للغرفة، فأشار السكرتير لأحد الرجال غير المهندمين:

– «نبيل العطيفي»، مؤلف روايات رعب من الدرجة الثانية».

وقبل أن يتلقى سؤال الوزير المعروف أردف:

– «وأيضًا هذا الشخص لا خوف منه على الإطلاق، فجل ما يطمح إليه هو فكرة جديدة لرواياته التي لا تجد صدى لدى من يقرأ له، هو أيضًا محدود الطموح لا خوف منه، معاليك تستطيع وضع شادر بطيخ، عفوًا للتشبيه».

أعاد الوزير النظر للملف واستمر بالقراءة بينما السكرتير يكمل التعريف:

– «هناء عبد المولى» فسخت خطبتها وترغب بـ ... عفوًا، ترغب أن تستعيد خطيبها».

التفت له الوزير بنظرة حادة فهتف:

– «صدقني يا سيدي، لقد نفذت تعليماتك بالحرف، ولكن كما تعلم هذا الاسم من الأسماء التي تم اختيارها بدون تدخل منا، حاولنا حذفه من القائمة، ولكنه ما يلبث أن يعود».

شدد الوزير بغيظ على نواجذه وعاد ينظر للغرفة بأوداج محتنقة وصوت السكرتير يشير لرجل آخر:

– «وهذا «عصام أحمد البرقوقي» من الفيوم مجنون بالسحر والسحرة».

أشار الوزير على رجل يبدو عليه الغموض الشديد:

– «ومن هذا الغريب؟»

– «مستر إكس» اسمه الحقيقي تحتفظ به المخابرات ورفضوا الإفصاح عنه، وهو ينتمي لدولة...

هلع الوزير وهو ينطق اسم الدولة ثم نظر للسكرتير الذي بادره:

– «هذا الرجل على الأخص لم نستطع رفض طلبه، كلما أرسلت خطابًا بالرفض لأسباب لا نعرفها لا يصل، يبدو أن قوى غريبة ترغب بوجوده».

ثم هز أكتافه بقلة حيلة، فغمغم الوزير بكلمات غير مفهومة وأشار له أن يتابع:

– «وهذا «يونس الهواري» مغربي الجنسية من مدينة «تيزنيت».

أومأ الوزير:

– «يبدو مسالمًا، لا غبار عليه، أكمل».

– «وهذا «هشام» من قبيلة الجبايلة في الصعيد، أهله معروفون من الأزل بممارسة السحر والشعوذة».

أشار الوزير لأحدهم متسائلًا باستغراب:

– «وهذا الْمُقْعَد أيضًا».

– «نعم يا سيدي، اسمه بهاء فخري، يأمل أن تحدث معجزة تعيد الحياة لساقيه».

– «ولكن كيف سيدخل المقبرة بهذا الكرسي المدولب».

– «سوف نقوم بحل هذه المشكلة في حينها يا سيدي، كما أخبرت سيادتك أن رفض أي شخص من الأحد عشر المتقدمين كان ضربًا من ضروب المستحيل، ما أمكننا فعله أننا أجرينا عليهم تحريات مكثفة خوفًا من أي عمليات إرهابية محتملة.

– «ومن هذا أيضًا صاحب المظهر الغريب؟».

– «اسمه «زين المالكي» ويعمل رسامًا، هذه مهنته التي يتعيش منها، وهذا الذي بجواره ويرتدي بذلة كاملة، الأستاذ «صلاح الخطيب» مدرس تاريخ في مدينة طنطا».

غمغم الوزير:

– «أخيرًا شخص ما يبدو وجوده طبيعيًّا، ومن يكون هذا الأخير؟».

قلب السكرتير صفحات ملفه ثم هتف:

– «هذا «معاذ الأحمدي» من بدو مرسى مطروح، ولكنه متعلم وحاصل على شهادة جامعية من جامعة بنسلفانيا في علوم الميتافيزيقا. هذا الملف فيه كل المعلومات بالتفصيل عن كل واحد منهم لو سيادتك أردت أن...».

لوح الوزير بذراعه:

– «اعتنِ أنت بكل الأمور، أنا أثق بك».

قاموا بالتوجه جميعًا إلى مكان المقبرة، بالطبع كان الصحفيون يلتصقون بهم، والكل يريد إجراء حديث صحفي، لكن الوزير رفض الحديث معهم وأمر الجميع بالتحلي بالصبر والصمت حتى تنتهي هذه المهمة.

وما إن وصل إلى باب المقبرة حتى أمر الحرس بفتحها والسماح لهم بالدخول ثم وقف على بابها يودعهم:

– «مهمتي انتهت هنا، يحين دوركم الآن».

وتركهم ومضى في سبيله، دخلوا يحملون مشاعل كهربائية لتضيء لهم ظلام المقبرة، كانوا يحدقون بانبهار بالنقوش الغريبة المنحوتة على الجدران، ثم سلكوا ممرًّا داخليًّا طويلًا حتى وصلوا إلى غرفة التابوت، وقفوا جميعًا فجأة مسمرين مكانهم يتبادلون النظرات، وكل منهم يشير لنقش على الجدار ويصيح بذهول:

– «هذا أنا».

تقدم «مفرح» يدقق النظر في النقوش ثم في وجوه المحيطين به ثم هتف بانبهار:

– «هذه النقوش تصورنا كما لو كنا نحن فعلًا».

تحسس صلاح الخطيب النقوش ووافقه الرأي:

– «حقًّا، تبدو كأنها صور لأحد عشر شخصًا، ولكنهم عاشوا في الزمن الغابر، الوجوه هي نفسها، ولكن الملابس تعود لعهد الفراعنة».

وقفت «هناء» وهي ترتعد آخر الصف وقالت في خوف:

– «أنا سوف أنسحب، لم أعرف كيف صور لي شيطاني أنني قد أجد طريقة هنا لحل عقدتي، واستعادة خطيبي».

نظر لها «بهاء» باستهزاء وجر عجلات كرسيه المتحرك وتقدم المجموعة جالسًا أمام حجرة الساحر:

– «أنا سأكمل، ليس لدي ما أخسره».

وشرع بالدخول فتبعه الباقون دون تردد، ارتعدت هناء بشدة فقد خيم الظلام على المكان حولها، وخُيل إليها أن النقوش على الجدران تتحرك وتمد أذرعها لتمسك بها، فانطلقت مسرعةً خلفهم دون تردد، وقد أدركت أن مصيرها أصبح مرتبطًا بمصيرهم.

لحِقت بهم لتجدهم متفرقين في الغرفة، كل اثنين أو ثلاثة مجتمعون حول أحد النقوش يتهامسون بأصوات خافتة، ارتفع صوت الفتاة الفرنسية ترغي وتزبد بكلمات فرنسية سريعة، تمسك بهاتفها الذي توقف فجأة وباءت كل محاولاتها لإعادة تشغيله مرة أخرى بالفشل، سألتها هناء ضاحكة:

– «ماذا تقولين؟ لا نفهم كلامك، ولكن يبدو أن شحن تليفونك

نفد، ولا يبدو أن ساحرنا يحمل في تابوته شاحنَ تليفون».

رفعت «فيرونكا» أكتافها بيأس قائلة:

– «أنا أستطيع التحدث بالعربية، ولا أعتقد أن المجال متاح لسخريتك».

همت هناء بالرد عندما صاح هشام:

– «توقفوا عن الجدال واسمعوا ما هذا الصوت؟».

تلفتوا حولهم وهم يصغون السمع بدون الإتيان بأي صوت ولا حتى التنفس.

كان صوتًا غريبًا ربما يشبه فحيح الأفاعي، وفجأة انغلق باب المقبرة عليهم واختفت كل النقوش من على الجدران وأظلم المكان تمامًا.

حالة من الهلع انتابتهم جميعًا وأخذوا يتكلمون في صوت واحد بضجيج عالٍ، فصرخ البروفيسير «مفرح» فيهم:

– «الصراخ والبكاء لن يجدي، رجاء الهدوء لنبحث عن مخرج».

أشار عصام صارخًا بهلع:

– «انظروا، إنها هناك، إنها أفعى ضخمة».

تراجعوا للخلف مبتعدين عنها بينما تزحف باتجاههم، كانت بالفعل أفعى من نوع الكوبرا المصرية السامة، ولكنها بيضاء موشومة بنقوش لا تشبه النقوش الفرعونية بأي حال، كانت تتحرك ببطء تجاههم، وهم يتدافعون هربًا منها حتى وجدوا أنفسهم أمام بوابة

تفتح ببطء، ولا خيار أمامهم إلا الدخول لهذه الغرفة المظلمة هربًا بحياتهم.

كانت الغرفة أكبر بكثير من مثيلتها السابقة، ويستقر في أوسطها تابوت ذهبيٌّ، عليه نقش أفعى تأكل ذيلها، وبعد دخول آخر واحد فيهم سمعوا ضجة أفزعتهم؛ فإذا بالباب الحجري يُغلق دونهم، وزاد من رعبهم انطفاء كل المشاعل التي يحملونها مرة واحدة ليظلم المكان تمامًا، وهم يصرخون رجالًا ونساء، عدا «مفرح» الذي كان يحاول إيجاد مخرج من هذه الورطة الجديدة، فجأة، لاحظ الجميع النقوش على الجدران آخذة في التحول لتصبح مضيئة، حتى أضاء وهجها ظلام المكان، شهق «بهاء»:

- «لقد اختفى التابوت».

بينما صاح «يونس»:

- «انظروا هناك، من هذا الرجل؟».

التفتوا للجهة التي يشير إليها في آخر الغرفة، كان رجلًا غريب الشكل والهيئة يجلس على عرش ذهبي، وفي يده صولجان على شكل رأس أفعى، بينما يقف عن جانبيه رجلان عاريا الجذع، يلتف حول رقبتيهما زوج من الأفاعي المرقطة... أو الرقطاء، توحي بالشراسة والسمية، كان الساحر يجلس وعلى وجهه ابتسامة ظافرة، أشار بيده فانطفأ وهج النقوش وأظلم المكان مرة أخرى، فأخذوا يتخبطون ويصرخون في هلع، قبل أن يعود الضوء من جديد.

ليجدوا أنفسهم قد انتقلوا لساحة تشبه ساحات المعارك الرومانية القديمة؛ دائرية تحيط بها أسوار عالية، وعرش كبير يجلس عليه الساحر

قوي البنية عريض المنكبين، يرتدي ملابس فرعونية، ويحيط بعرشه أفاعي الكبرى، تُخرج فحيحًا قوي الصوت تجاه المتحدين الواقفين في ذهول ورعب شديد، اقترب الساحر منهم، وكلما تقدم خطوةً انشقت الأرض وكأن بها زلزالًا، تخرج من كل فتحات الأرض نيرانٌ تشبه البراكين.

رفع الساحر عصاه عاليًا، وكان صوته غليظًا له زمجرة كالأسد: «هل تعتقدون أنني انتظرت كل هذا الوقت من أجل تحدٍّ أحمق، «ضحكة عالية»، هل تعتقدون أنني اخترت حفنة من الهواة أمثالكم بطريقة عشوائية؟».

– «أنتم نسل الكاهن «ريموتابي» كاهن الملك الذي تسبب في انتقالي إلى العالم الآخر، سَرَت لعنتي في أصلاب أسلافكم جيلًا بعد جيل حتى وصلت إليكم».

نظر إليهم متفحصًا ثم قال:

– «لم أتوقع أن تكونوا بهذا الضعف، وكما أرى لستم ندًّا لمواجهتي، سأكون رحيمًا بكم، سأجبركم على مواجهة أنفسكم وأسوأ مخاوفكم، الناجي هو الذي يتغلب على مخاوفه، ومن يفشل فهو لي، سألتَهِم رُوحه».

اضطجع على عرشه متفاخرًا بقوته، وأردف متأملًا بانتصار وجوهَهم المرعوبة:

– «أحد عشر ممرًّا ستُفتح الآن أمامكم»، ثم نظر إلى «مفرح» قائلًا:

– «أعلم أن فيكم مَن ليس منكم، ولكن قدره أتى به إلى هنا، إذن فهو أهل لنا ونحن أهل له، لا بأس من ممر إضافي».

ضحك بعدها عاليًا ثم لوح بعصاه ذات الأعين المقطرة دمًا، فخرج منها شعاعٌ شفاف، فتح دوامات مائية في الفراغ؛ كالتي نراها في أفلام الخيال العلمي، وبالتحديد إحدى عشرة دوامة، ذات رياح عاصفة كشفرات المروحيات الطائرة، ثم أشار بعصاه ذات الشعاع الأحمر وبدأ بتوجيهها نحو المجموعة المذعورة، وقد شعروا أن نهايتهم قد أوشكت، واحدًا تلو الآخر كان الشعاع يصيبهم، بينما صرخاتهم تصم الآذان وهم يحاولون التشبث ببعضهم البعض، ولكن من كان يصيبه الشعاع كان يختفي في أحد الدوامات المفتوحة على مصراعيها وتنغلق دونه، حتى آخر واحد فيهم.

زمجر الساحر بقوة وتعالت ضحكاته وقهقهات الأفاعي من حوله، ثم أخرج صندوقًا صغيرًا به كرة بلورية الشكل وعاد يجلس فوق عرشه، وهو يشاهد ما يحدث لهم، ويغمز بعينيه إلى أفاعيه، التي انحنت له بتبجيلٍ واحدةً تلو الأخرى قبل أن يقفزوا داخل الكرة البلورية، كل أفعى محددة المهام خلف المتحدين الأحد عشر.

ثم نفخ في البلورة وأخذ يتلو الطلسم الملعون؛ والذي كان أساس التحدي، وبدأ التحدي...

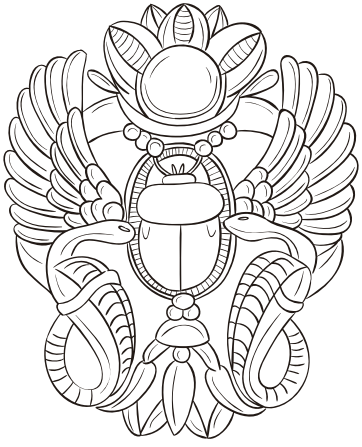

القربان الأول

«نبيل العطيفي»

بقلم

إسلام سمير عبد الرحمن

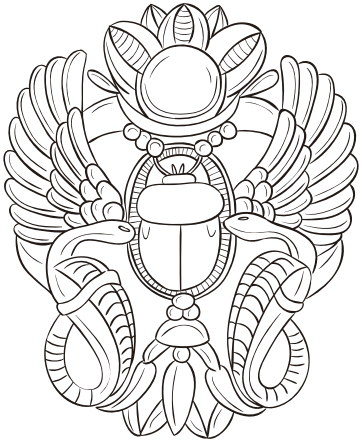

بالطبع اسم «نبيل العطيفي» هو اسم فني، اسمي بالكامل هو «نبيل حسن صديق أبو الهنا» وهو كما ترى اسم عادي لا يثبت في الذاكرة، وجدت أن اقتران اسمي الأول مع اسم مسقط رأسي «العطوف» سيعطي لاسمي جرسًا موسيقيًّا جذابًا للأذن، تقول: إنك لا تعرفني، أقول لك: إنه ذنب الناشر الذي لم يهتم بتسويق كتاب «رجفات الهلع» للنشر الجماعي، لقد شاركت فيه بقصتين قصيرتين، قصة «المسخ الملعون»، وقصة «رعب مصاص الدماء»، لقد استلمت مقابل النقود التي دفعتها للنشر عشرة نسخ من الكتاب، وكنت في غاية السعادة وأنا أوقع النسخ مع كتابة إهداء قصير لأبي وأمي وأصدقائي، وقد اتخذت قرارين؛ أولهما هو عدم المشاركة في الأعمال الجماعية مرة أخرى، والقرار الثاني هو أن العمل القادم سيكون مجموعة قصصية كاملة تحمل اسمي. وقريبًا جدًّا سيعرف العالم العربي اسم «نبيل العطيفي» عندما أصبح أكبر كاتب قصص رعب.

كنت جالسًا في صباح ذلك اليوم على مقهى «عطفة المسك» أحتسي كوبًا من القهوة السوداء، وأتصفح موقع «الفيس بوك» وبعض مواقع الإنترنت على الحاسب اللوحي الخاص بي، عندما لمحت ذلك الخبر عن التحدي الذي وجدوه منقوشًا على تابوت ساحر فرعوني، وقد نشرت وزارة الآثار التحدي على مستوى العالم.

(الساحر «سيونامون» يتحدى أحد عشر متطوعًا أن يقضوا ليلة كاملة في مقبرته المكتشفة حديثًا، ومَنْ سيقبل التحدي ويتمكن من قضاء تلك الليلة سيمنحه مفاتيح الخلود والثروة).

ابتسمت وشعرت بنشوة تجتاح كياني، وذكرياتي تتداعى، لقد قررت أن أكون كاتبًا متخصصًا في أدب الرعب بعدما قرأت عشرات الروايات والقصص التي تتحدث عن مختلف مواضيع أدب الرعب، قرأت روايات مترجمة بالطبع؛ لأنني ضعيف للغاية في اللغة الإنجليزية، وأكثر الكتَّاب الذين انبهرت بهم وبالعوالم المرعبة الكاملة التي أبدعوها ووضعوا قواعدها كان «هوارد فيليبس لافكرافت»، ذلك السيد العظيم الذي خط بقلمه أعظم ملاحم الرعب على الرغم من قلة أعماله وموته المبكر، قرأت بالطبع لـ «إدجار آلان بو» و«ستيفن كينج»، ولكن «لافكرافت» ترك بصمته الغائرة في عقلي وقلبي، ومن ضمن المجالات التي درستها هو ما يتعلق بلعنة الفراعنة، وكيف يستطيع ملوكهم بث الأذى والرعب عبر آلاف السنين؛ ولهذا اتخذتُ قرارًا بالمشاركة في هذا التحدي، وبالفعل قمت بملء نموذج التقديم الإلكتروني، ومضت عدة أيام قبل أن يتصل بي أحد مسئولي وزارة الآثار ويخبرني بأن الاختيار قد وقع علي، لم أصدق نفسي فأنا لم أكن يومًا سعيد الحظ، ولم أفز من قبل بأية مسابقة تعتمد على الحظ، ومع وصولي إلى الخيمة العملاقة التي تم نصبها بجوار موقع التنقيب وتجهيزها لاستقبال الأحد عشر متحديًا الذين وقع عليهم الاختيار شاهدت عشرات المراسلين من كافة وكالات الأنباء العالمية، فاستنتجت وقتها أن الأمر بأكمله عبارة عن حملة دعاية جبارة لجذب آلاف السائحين إلى مصر بعد تدهور السياحة المستمر منذ حادث تلك الطائرة المنكوبة.

ولكن الأمر لم يكن ليفوتني، كنت أرتدي حلتي الوحيدة التي لم تستسلم بعد لعوامل الزمن ولا تزال محتفظةً بلونها الأصلي، وبعد مقابلة لا تزيد مدتها عن الخمس دقائق مع مسئول متصلب الوجه كئيب السمات أعلن لي أنني تم اختياري عشوائيًّا ضمن الأحد عشر فردًا للمبيت في المقبرة.

لك أن تتخيل سعادتي وقد أصبحت محط الأنظار وبؤرة الاهتمام وصار وجه «نبيل العطيفي» يتصدر أغلفة المجلات والجرائد، وبدأ اسم المجموعة القصصية «رجفات الهلع» يتردد من جديد.

العالم كله صار يتحدث عن مجموعتنا التي كانت تتكون من خليط عجيب من عدة أعمار وجنسيات، تصنعت الخطورة وأنا ألقي بتصريحات لقناةٍ فضائيةٍ ما أعلنتُ فيها أن مغامرتي بالمقبرة ستكون موضوع روايتي القادمة التي ستخلد اسمي في عالم قصص الرعب.

ويمكنك أن تمر مرور الكرام على مرحلة دخولنا المقبرة والحماس الذي كان يعترينا والباب الذي أغلقوه علينا، ما حدث بعدها لا أريد أن أتحدث عنه؛ لأنه تسبب في الشيب الذي ملأ رأسي وأنا لم أتجاوز سن الثلاثين من عمري، ما حدث في تلك الليلة قد تبخر معظمه من ذاكرتي بفضل الله وكرمه، ولكن هناك شذرات مما حدث لا زالت تطاردني.

نهوض الساحر من تابوته.

صورنا المرسومة بتقنية النحت على جدران المقبرة.

الثعابين التي ملأت المقبرة بفحيحها، وذلك الشعاع الضوئي الأحمر.

عالم الآثار الذي كنا نناديه بـ الأستاذ «مفرح» وهو يصرخ عندما مسه الشعاع الأحمر قبل أن يختفي.

والذعر وصرخات النساء، والكل يحاول تفادي الشعاع الأحمر التالي.

وحاولت أن أنحني قبل أن يلمسني ذلك الشعاع.

المقبرة بالكامل اختفت ووجدتني أنزلق في منزَلق لامع مضيء يشبه منزلقات الملاهي.

صرخت حتى كادت أحبالي الصوتية تتمزق، وأنا أشعر بضغط هائل يمزق طبلتي أذني.

ورأيت الأرض تقترب.

حاولت أن أتكور حول نفسي متفاديًا اصطدام رأسي بالأرض.

وفجأة عاد كل شيء إلى طبيعته...

تطلعت إلى المكان الذي وصلت إليه.

شوارع مرصوفة بحجارة سوداء مربعة صغيرة مبللة بمياه الأمطار.

سماء مكفهرة سوداء تختلط غيومها بأدخنة مصانع تضخ السواد نحو عنان السماء.

سرت نحو ذلك الجسر الذي يعبر فوق مياه نهر كئيب المنظر، والغريب أنني كنت على علم بالمكان.

أنا الآن في «بروفيدانس» بولاية «رود أيلاند» أتحرك نحو مكان البلاغ الذي وصل إلى الشرطة.

أنا الآن المفتش «ليجراس» من قوة المباحث الذي يعيش أسوء أيامه وأكثرها توترًا.

فمدينتي تعتبر مدينة هادئة للغاية ولم أواجه طيلة العام الماضي إلا حادثتي قتل وبعض حوادث السرقة.

ولكن الجنون قد اجتاح المدينة بالكامل منذ ما يزيد عن الشهر؛ وذلك الحادث يمكن ضمه لسلسلة الحوادث العجيبة التي أقف أمامها عاجزًا.

كان عدد من أفراد الشرطة يقفون بعيدًا عن كومة الجثث بينما مستر «ريتشارد بيكويك» يقف مرتجفًا وهو يلوح بكفيه ويقص ما حدث.

القصة كانت تتحدث عن استيقاظه فجرًا على صوت الضوضاء التي يصنعها جاره الموسيقار «آرثر راندولف» بعزفه على الكمان، تلك الضوضاء التي جعلت ظهر قطته يتقوس لتقفز مغادرة المنزل، وعندما خرج مستر «راندولف» في إثرها قادته إلى باحة خلفية لمصنع قديم.

وكان ما شاهده بشعًا بما يكفي ليتصل بنا.

كومة ضخمة من جثث القطط المشوهة المبقورة البطن قد يصل عددها إلى المئات.

وهناك ذلك الرسم المشئوم الذي يحتل مساحة الباحة بأكملها.

والسرجنت «هادلي» يقول بصوت مشروخ مرتعد:

– «لقد قاموا بانتزاع أمعاء كل القطط بعد قتلها، وقاموا بتوصيل الأمعاء بعضها البعض ليصنعوا حبلًا طويلًا شاذ التركيب قاموا باستخدامه لرسم هذا الشكل».

كنت أتطلع إلى نجمة خماسية منتظمة تمامًا مرسومة بالأمعاء الدامية، وعلى كل طرف من أطراف النجمة كان هناك شمعة سوداء نصف ذائبة.

السرجنت «هادلي» يواصل بصوته المزعج:

– «هناك من أبلغ عن رؤيته للأبله «بيكمان دلوير» بالقرب من المكان، وكان يحمل قفصًا معدنيًّا به مجموعة من القطط.

دفع «هادلي» بعجوز متغضن الوجه يتدلى فكه السفلي في بلاهة. كنت أشعر بإرهاق شديد وأنا أتطلع إلى «بيكمان» الذي يواصل تطلعه إلى اللاشيء.

– «هل أنت الذي قتل القطط وقام بهذا الفعل الشاذ يا «دلوير»؟».

بدا وكأنه يحلم وصاح بصوت عميق النبرات:

– «فنجلويمجلونافكتولورليهوجانجفتاجن».

وملت نحوه لأتحقق مما يقول، ليواصل الصراخ:

– «فنجلويمجلونافكتولورليهوجانجفتاجن».

كتبت في مفكرتي تلك العبارة التي أخذ يرددها وبدا أنه سيظل يكررها إلى يوم الدين.

وأشرت إلى «هادلي» ليصرفه. وكنت واثقًا بأن حل ما نحن بصدده من ألغاز يتعلق بترجمة تلك الكلمات ذات الوقع المهيب في الأذن.

كنت أعرف وجهتي القادمة، «مايرز جرمين زان مارش» ذلك الرجل المنبوذ من كل سكان المدينة؛ والذي يقال: إنه يمارس السحر فقد أجد لديه ما يساعدني.

كنت مرهقًا جسديًّا وعصبيًّا، كل خلايا جسدي تصرخ طلبًا للراحة، وعندما غرقت في النوم كان يقف هناك في انتظاري ذلك الشاب الأسمر الوجه ذو الملامح الشرق أوسطية بمنظاره الطبي ونحوله، كان يبكي في يأس وهو يتلفت حوله في حيرة، وعندما لمحني أشار نحوي مستنجدًا مستغيثًا.

حاولت أن أدير له ظهري لأبتعد، إلا أنه تعلق بذيل معطفي ليشير إلى الخلف ويصرخ:

- «اسمي «نبيل العطيفي»، أنقذني أرجوك، أنا أعرف هذا العالم، أنا أعرفه جيدًا، أنا تائه في عالم سيد الرعب «لافكرافت».

تتبعت إشارته واستدرت إلى الخلف لأجد ذلك الشيء الملعون يحتل الأفق، المزيج الجهنمي من الرجل والأخطبوط في حجم الجبل، وجدتني أصرخ وأصرخ لأستيقظ والعرق يغمر جسدي بالكامل: مَنْ «نبيل» هذا؟ وما الذي يقصده بـ «لاف...» «لافكرافت»؟

* * *

كان لقائي بـ «مايرز جرمين زان مارش»- أحد كبار عائلة «مارش»- لقاء حاسمًا؛ فلقد استدعيته رسميًّا إلى مكتبي؛ لأجعله يشعر بمهابة الموقف ويقدر أهميته، وعندما حدثته عن سبب استدعائه وعرضت عليه العبارة التي كان «بيكمان» يرددها، كان في غاية الارتباك، ولاحظت أنه يتطلع إلى وجهي في تركيز غريب أثار دهشتي.

قمت بشرح الأمر له بالتدريج، فخفض رأسه في خجل وأغلق عينيه في قوة قبل أن تتساقط دموعه في غزارة ويرتج بالبكاء.

نهضت من خلف مكتبي وسكبت قليلًا من الماء البارد في كوب وقدمته له، شربه وبدأت أنفاسه تنتظم، ورفع بصره نحوي ليقول:

- «تحت أمرك، ماذا تريد أن تعرف؟».

- «حقيقة الأمر منذ البداية».

- «جدنا الأكبر «إريك مارش» كان يعتبر نفسه الأب الروحي لكل صيادي الميناء، وعندما شح الصيد وقل الرزق وتشردت الأسر قرر أن يستفيد من خبراته في عالم السحر، قرأ الكثير عن عالم ما قبل البشر، وعن الآحاد القدامى «*The Old Ones*» الذين كانوا يحكمون العالم قبل الإنسان، ودرس أساليب الاتصال بتلك الكيانات كما كان يحدث قديمًا، وتوصل إلى سبل شنيعة للاتصال بكيان مهول يدعى «كتولو»، وبالفعل التفت حوله طائفة من الصيادين في مدينة «إنزماوث» وقاموا بالسيطرة على الكنيسة وعملوا على إحياء عقيدة قديمة تسمى «عقيدة ديجون».

قطع عبارته وصمت قليلًا ليقول:

- «خطفوا العديد من الغرباء، وقدموهم قرابين لـ «كتولو» الذي كما يقال: أحسن مكافأتهم، وتدفقت الأسماك على «إنزماوث» كالسيل، وعبروا الأزمة الاقتصادية، ولكن فئة كبيرة منهم تحولوا إلى مسوخ أسماك، وغاصوا خلف «كتولو» إلى عمق المحيط، تناثرت الأقوال خارج البلدة، وعرف المتطرفون ما تم بشأن طرد رجال الدين من الكنيسة، وعرفوا بشأن العقيدة الوثنية التي تمارَس هناك بتقديم قرابين بشرية، فاقتحموا البلدة وقيدوا جدنا «إريك مارش» وأتباعه وأحرقوهم أحياءً بنفس طريقة حرق سحرة العصور الوسطى».

كنت أتطلع إليه في غير تصديق، وحاولت التحكم في أعصابي لأقول في هدوء:

- «وهل هناك مَنْ عاد لممارسة تلك الطقوس مِن جديد؟».

هز رأسه وقال في سرعة وكأنه يلقي بحمل ثقيل من فوق كاهله:

- «للأسف منذ شهرين تقريبًا تم السطو على ضيعة عمنا الأكبر «بنجامين مارش» ولم يسرقوا إلا الكتب التي رقدت بالقبو بعد المذبحة التي قضت على كل أتباع عقيدة «ديجون»، سرقوا الكتب والمخطوطات، وقرروا أن يعيدوا تلك الممارسات المشئومة».

كان يتحدث وهو يواصل تفحص ملامحي بطريقة مريبة، ولكنني كنت مشغولًا بمحاولة جمع كل أجزاء اللغز اللعين؛ ولذلك رحت أقص عليه كل الحوادث المريبة التي اجتاحت المدينة، وهو يضيِّق عينيه في محاولة منه للتركيز فيما أقول، وصمت قليلًا ليقول:

- «للأسف كل ما ذكرته هي علامات مذكورة في كتب السحر، كلها عبارة عن قرابين وتمهيد لعودة «كتولو»، والكتب تقول: إن عودته ستكون أحد أهم علامات النهاية، وأعني بالنهاية؛ نهاية العالم المعروف الآن، سيتضاعف الجنون وستتحول الأرض إلى ساحة عملاقة لممارسة التضحيات بالقرابين البشرية بعدما يعود «كتولو» إلى الأرض».

المشهد كان أبشع من قدرتي على التخيل، فقلت في صوت مرتجف:

- «وهل يتم تجهيز كل العلامات لعودة ذلك الشيء؟».

هز رأسه نافيًا وهو يقول:

– «لا يزال هناك علامتان: أولهما ظهور «العازف»؛ وهو عازف شاب يفتقر إلى الشهرة سيوحي له «كتولو» بنفسه بالنغمات التي يجب أن يتم عزفها كل ليلة لتنهار آخر أقفال السجن الذي يحتويه، والعلامة الأخرى هي علامة «الغريب»؛ الغريب الذي سيعبر فجوةً ما بفعل سحر قديم ولعنة ما إلى مدينتنا، هذا الغريب يدفع ثمن ما قام به جد أجداده منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام، يدفع الثمن غاليًا، فلقد ألقى به سحر قوي ملعون إلى مدينتنا؛ ليكون أول قربان يقدم نفسه طواعية لـ «كتولو» عند ظهوره».

– «وذلك «العازف»، هل هناك أية علامات ذكرتها كتب السحر يمكن أن تجعلنا نصل إليه؟».

– «تقول كتب السحر: إن عزفه مزعج ومخيف ويستحضر الشياطين، وأحد العلامات المهمة هو فرار كل القطط من المكان الذي يعزف فيه».

نهضت وقد تذكرت ما حكاه مستر «ريتشارد بيكويك» عن عزف جاره «آرثر راندولف» الذي جعل القطة تفر من المنزل؛ إنها تلك العلامة التي يتحدث عنها «مايرز جيرمين».

* * *

أصبح شغل شرطة «بروفيدانس» الشاغل هو العثور على «آرثر راندولف»، تأكدنا من عدم مغادرته لـ «رود أيلاند»، ونشرت رجال الشرطة في كامل المدينة بحثًا عن «آرثر»، وأصبحت على يقين تام بأن بقاء العالم كما هو وعدم تحوله إلى بركة هائلة من الدماء يتوقف على العثور على العازف قبل أن يعزف على الكمان تلك النغمة الملعونة التي ستفتح أبواب

الجحيم. ومع اليوم الثالث للبحث شعرنا كلنا بالهزة الأرضية، وهيئة الرصد حددت مركز الزلزال على بعد كيلو مترين من الميناء في قلب المحيط، وتحدَّث التقرير عن تحرُّك جزء من أرض المحيط وانفصاله، ما مر بنا من أحداث جعلني متأكدًا أن ما يحدث له علاقة بقرب ظهور ذلك الكيان الذي سينهي وجود العالم كما نعرفه، أمرت بتكوين حملة مسلحة وتوجهت بها نحو الميناء، قلبي وكل حواسي تحدثني أن الأمر سيحسم هناك، وطلبت من «مايرز جيرمين» أن يصحبنا إلى الميناء.

الجو كان ملبدًا بالغيوم، وألسنة البرق تحرق أديم السماء، والرعد يعزف معزوفته السرمدية، موكبنا الصغير يتحرك نحو الميناء. «مايرز» يواصل التحديق في وجهي، وعندما لاحظ أنني تنبهتُ إلى ما يفعله مال نحوي وهمس:

- «لا تتقدم من رصيف الميناء، وجِّه رجالك عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية».

تجاهلت قوله وأشرت للسيارات بالتوقف، وتحركنا راجلين نحو رصيف الميناء، وهنا بدأت الأنغام تصل إلى مسامعنا، تلاقت نظراتي مع نظرات «مايرز» وفكرنا في الشيء ذاته.

«آرثر راندولف» بدأ تلقي الوحي من الشياطين لعزف النغمة الأخيرة.

عندما سمع جنود الحملة الأنغام العجيبة توتروا وأشهروا أسلحتهم، كنت أبحث عن «آرثر» ولم أجده، أشرت للجنود وصحت:

- «مطلوب القبض عليه حيًّا، المسكين مُستحوَذ عليه، والشيطان يستخدمه كأداة للعزف فقط.

أشار «مايرز» إلى الفنار البعيد.

نظرنا إلى قمة الفنار.

كان ظل «آرثر» واضحًا والكمان يستند على كتفه، وهو يتمايل مع النغمات التي كان يعزفها منتشيًا وغائبًا عن الوعي.

اتجه الجنود نحو الفنار، وهنا كنت أتأمل في جمال وروعة تلك النغمات.

من أي بستان من بساتين الفردوس قد جاءت؟

تلك النغمات السماوية السرمدية التي لم تحلم الملائكة برقتها يومًا ما.

تركت الحملة وتحركت نحو رصيف الميناء.

ووجدت «مايرز» يتحرك في أثري ليقول:

– «قلت لك: يجب أن تنتظر في سيارتك، ولم تسألني لماذا؟».

– «لأنني غير مهتم بما تقول».

– «يجب أن تهتم؛ لأنك تتجه بنفسك نحو تحقيق آخر علامة لظهور «كتولو»».

كنت أتحرك نحو رصيف الميناء وأنشودة الفداء تتردد في أذني.

لقد خُلقت من أجل تلك اللحظة ومن أجل هذا الهدف السامي.

– «لقد عرفت القصة منذ رأيت وجهك، أنت واقع تحت لعنة قديمة رهيبة، تتخيل أنك رجل الشرطة الشهير «ليجراس» ومن هم في محيطك يرون فيك ما تعتقده، ولكنني ورثت عينين لماحتين من أسرتي، تلك اللعنة لن تخدع عيني، أنت الغريب الذي ألقتْ بك فجوةٌ كونيةٌ ما في زماننا لتتعذب.

أنت الغريب الذي وقع عليك عقاب ساحر فرعوني قديم، وجاء بك إلى هنا لتلتقي بأعظم مخاوفك.

أنت الآن تتحرك لتلقي نفسك طواعية كقربان لذلك الشيطان اللعين.

كلماته جعلتني أرتجف، عمَّ يتحدث هذا المخبول؟

النغمات تتردد في الميناء بالكامل، وقد تبيَّن لنا أن «آرثر» قام بتثبيت مكبرات صوت وسماعات بأعلى الفنار ليصل مدى النغمات إلى كل الميناء، الجنود يحاولون اقتحام باب الفنار المغلَق.

أنا قد بدأت في ترديد الكلمات الحبيبة:

- «فنجلويمجلونافكتولورليهوجانجفتاجن...»

- «يجب أن تتغلب على تلك اللعنة وتعود إلى نفسك، أنت لست المفتش «ليجراس»، عدوك يحركك نحو حتفك وينتقم منك؛ لأنه لم يتمكن من هزيمة جدك الأكبر، أنا وأنت ضحايا للعنة أجدادنا، أنا أحمل على كتفي إرث جدي «مارش»؛ الذي جلب تلك اللعنة إلينا، وأنت تدفع ثمن فشل عدوك في هزيمة جدك منذ آلاف السنين».

أتطلع إلى الأفق حيث برزت تلك الجزيرة بعدما انفصل ذلك الجزء من أرض المحيط بعد الهزة الزلزالية التي حدثت وأنا أردد الكلمات التي وُلدت خصيصًا لأرددها.

- «ياينجناهيوج سوثوث... هاي لجيب... فايثرودوج... يواه... جيب ليب».

«مايرز» يصرخ ويتعلق بذراعي:

- «توقف بالله عليك، توقف ستغرق الأرض في بحر من الدماء».

رائحة الزفارة تتصاعد، وهناك صوت يتصاعد من الجزيرة التي بدت واضحة في الأفق؛ صوت صخور تتحطم.

سجن «كتولو» ينشق وهو في طريقه إلينا ليستقبل قربانه البشري الأول منذ عهد «إريك مارش».

تلفت «مايرز» حوله وتأكد من ابتعاد كل جنود الحملة عن أماكنهم، وأخرج خنجرًا ضخمًا من جيب سترته وتحرك نحوي.

وهنا سمعنا الفحيح، التفتنا إلى الخلف لنشاهد تلك الأفعى العملاقة التي ظهرت من الفراغ لتنقض بفكيها على عنق «مايرز»؛ الذي شهق شهقةً رهيبةً وسقط أرضًا والأفعى تفرغ سمها في أوردته.

مع سقوط «مايرز» كانت فرصتي سانحة لترديد باقي الأنشودة:

- «زرو... دسميسجيشيت بون دوسيفدوفما... انتيموس... لارلياهلسيهويلفلجانجلدا لا...يها نتلي».

وهنا شاهدته... «كتولو» الذي ملأ كيانه الأفق أمامنا.

الشيء كان غاية في الضخامة.

يقترب...

الرائحة العفنة الزفرة ملأت الدنيا كلها.

سقطت على ركبتي وقد خلصني ما رأيت من لعنتي.

ما شاهدته أحرق كل توصيلاتي العصبية.

كنت أشاهد اقترابه وقد تدلى فكي السفلي وسال لعابي غزيرًا، وبلل بولي بنطالي بعدما فقدت التحكم في مثانتي.

من سجلات مستشفى العباسية للأمراض النفسية.

المريض «نبيل العطيفي» عثرنا عليه في موضع قريب من المقبرة الملعونة.

وقد شاب شعره تمامًا، أصبحت ملامحه وكأنه في الستين من العمر.

كان في حالة هياج عصبي كاملة ناتجة عن انهيار عصبي عنيف، وبعدما حقناه بالمهدئات طلب لوحات وألوانًا، وكان كل ما رسمه عبارة عن شيء مجهول هو مزيج من الرجل والأخطبوط.

وقد كرر عبارة واحدة لآلاف المرات في كل الأوراق التي سلمناها له.

عبارة لم يفهمها أي طبيب من الطاقم الذي يتابع حالته بأمر من وزير السياحة وتلك العبارة هي:

«فنجلويمجلونافكتولورليهوجانجفتاجن».

الأطباء لم يفسروا سبب حالته حتى الآن إلا بتعرضه لحالة ذعر رهيبة، ولكننا نردد سرًّا أن ما حدث له حدث بسبب تعرضه للعنة الفراعنة.

(تمت)

ملحوظة: كل الأسماء التي ذكرتها، وكل الخليط الرهيب من القصص هي معالم مشهورة لعالم «لافكرافت» ملك الرعب العبقري بتصرف شديد بالطبع.

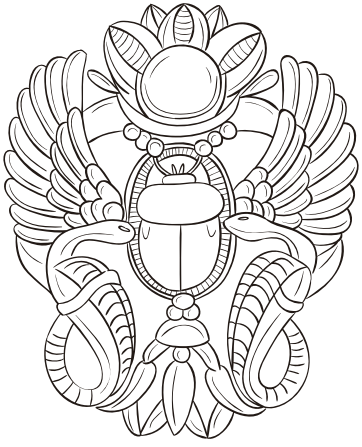

مغارة دانيال

«يونس الهواري»

بقلم

عبد العزيز أبو الميرات

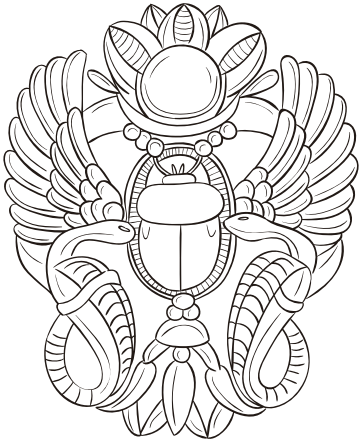

اسمي «يونس الهواري» مغربي من مدينة «تيزنيت»، ولطالما عرفت أنني مختلف عن الآخرين...

منذ صغري كنت أُظهِر مهارات غير عادية، فقد كنت أتكلم الإسبانية بطلاقة في سن الرابعة دون أن أتعلمها من أحدٍ ما، وعندما كبرت كنت أحس بأشياء قبل وقوعها، كما أنني كنت أتوقع دخول أحد من الباب قبل أن يلج بلحظات، كل مرة.

لقد كنت أعرف أنني مختلف عن الآخرين، لكنني لم أعرف من أكون حقيقة، هل أنا ساحر؟ ولو كنت كذلك فما الهدف من وجودي؟ وهل هناك أشخاص مثلي؟

ظلت تلكم الأسئلة تحيرني وتشغل بالي طوال فترة مراهقتي وبلوغي. أخذني والداي إلى أكثر من طبيب ومشعوذ، كشفت قِصر معرفة الأول وفضحت دجل الثاني، وكم تمنيتُ لو أكون على خطأ، وأعثر على شخص يساعدني على فهم من أنا.

وكبِرت، وقررت خوض معاركي بنفسي.

قرأت عن عالم من السحرة المغاربة يعيشون بين ظهرانينا، يكشفون الكنوز ويستعينون بالجن، وما إلى ذلك مما يشاع عنهم

من الخوارق، وتمنيت لو أعرف أحدهم عن قرب، فجُلت المغرب من أقصاه إلى أدناه أملًا في العثور على واحد، لكنني لم أصادف إلا نصابين، مدَّعين ودجالين، وقد انتقمت منهم أبشع انتقام.

ثم قرأت عن «مغارة دانيال» في أحد الكتب القديمة.

يقال: إنها مغارة عظيمة مرصودة بالجن، ويتعلم فيها طلبة السحر أقوى العلوم الروحانية؛ حيث يستطيعون بعد التدرب والتمكن من طلسم معين من السيطرة على خادم مِن الجن عبر عهود ومواثيق.

ولقد زرت مغاراتٍ عديدةً في المغرب بحثًا عن «مغارة دانيال»، لكنني لم أعثر عليها، حتى فقدت كل أمل، ثم كان تحدي «الطلسم الفرعوني» عن الملعونين الأحد عشر فشاركت؛ لأنني شعرت بشيء قوي تجاهه أحيا فيّ الأمل، خاصة وقد قرأت أن هناك مدخلًا لـ «مغارة دانيال» بمصر.

حين قذف بنا الساحر إلى الممرّات، وأظهر قواه الخارقة لنا، عرفت أني في المكان الصحيح. لم أشعر بالخوف والشعاع الأحمر يصيبني فأختفي، ولا اكترثت للألم الحارق في صدري، كنت متقبِّلًا أي مصير ينتظرني، وفتحت له ذراعيَّ على امتدادهما.

قال الساحر: إننا سنواجه أسوأ مخاوفنا، لكنني وجدت نفسي داخل المغارة التي كنت أبحث عنها طويلًا، أعرف هذا يقينًا في صدري، وأنا لم أخطئ حَدْسًا من قبل، فهل أسوأ مخاوفي هو أن أرى غايتي تتحقق؟!

تجاوزت دهشة البدايات وخطوتُ أولى خطواتي داخل المغارة، التفاتة لا إرادية خلف ظهري جعلتني أدرك أن ورائي حائطًا سدًّا. وأنه لا سبيل للتراجع الآن...

كانت المغارة هائلة؛ ذات سقف قد يصل في أجزاء منه إلى ارتفاع عشرات الأمتار، حيث تنسدل منه متدليات أو أعمدة هابطة مكونة من ترسيب معادن مختلفة كما تشير بذلك ألوانها المتنوعة، بعضها على شكل ستائر وأنابيب موزعة في لوحات طبيعية، لم أملك إلا أن أنبهر بها، هي والصَّواعد الحجرية الجميلة التي تنتصب على أرضية المغارة، بسبب تقاطر المياه المحملة بالأملاح المعدنية، والتي جفت وتبلورت في هيئة مخروطية عجيبة، التقى بعضها بما تدلى من السقف فتشكلت عواميد كاملة، لكن كل هذا الجمال شيء وسيمفونية الأضواء شيء آخر.

كانت المتدليات أو الصواعد الحجرية تضيء كالمنارة، تومض هنا وهناك في ترتيب خفي ينير المغارة كأنها حفلة ديسكو. كان جوًّا ساحرًا يخلب الألباب، نسيت معه للحظات رهبة المكان والأساطير التي نُسجت حوله، قبل أن أستيقظ من سكرتي وأتحفز منتظرًا المزيد من أسرار المغارة أن تنكشف.

سرت أتنقل بصعوبة بين التضاريس العجيبة، محاولًا ألا أكسر بعض الصواعد الحجرية الهشة، حتى لا أفسد جمال المكان وحرمته، كان كل ما قيل عن المغارة حقيقيًّا وأكثر؛ أحجار عظيمة سوداء متباعدة عن بعضها البعض، وغائر بعضها في الأرض، على كل حجر منها من المفروض طلسم خاص مع كافة التعاليم الخاصة بكيفية خدمته واستخدامه وأوراده وأعداد قراءته وكيفية العمل به والاستفادة منه، وعلي أن أقوم بتأدية ما يطلبه مني الطلسم حتى ينكشف لي شيئًا فشيئًا، وأرى خادمي وأتحدث معه، وأعقد عليه العهد والميثاق ليظل في خدمتي ويأتمر بأمري.

كنت أمرر يدي على صخرة حين فاجأني صوت خلفي يقول: «مرحبا بك أيها الرجل!»

التفت فزعًا، فهذه أول مرة يفاجئني فيها شخص طوال حياتي!

مد يده، شاب في منتصف العشرينيات، جلباب من صوف خشن وبلغتان توشيان بأنه من بلدي المغرب، وقال:

– «أنا «محند أُوعدِّي»، من «الصويرة»، وأنت؟».

– «»يونس» من «تيزنيت»».

– «لا ترهق نفسك، ما دامت الصخرة لم تكشف لك طلسمها فهذا يعني أنه لا يخصك، عليك أن تمرر كفك على صخور الطلسم السوداء المنتشرة بالمغارة، وستعرف صخرتك حين تعرف!».

وأردف بعد لحظة:

– «حينها عليك أن تحفظ أو تدون الطلسم جيدًا، ثم تنفذه بالحرف وإلا كانت العواقب وخيمة».

تصنعتُ عدم الفهم طلبًا ليكشف المزيد، فأمسك بيدي ومشيت معه لوهلة قبل أن يتوقف مشيرًا إلى نقطة ما في المغارة.

واقشعر بدني لما رأيت...

مجموعة من الأشخاص، أحدهم يزوم كالمجنون ذهابًا وإيابًا، في مسافة لا تتعدى الخمسة أمتار، وآخر يضرب رأسه بأحد جدران المغارة الصخرية دون أن يصدر أَنَّةَ ألمٍ، فيما ثالث جالس القرفصاء، معلق بفجوة في جدار لا أعرف كيف وصل إليها، وكان يتلو من لوحٍ ما كلامًا أشك أن له معنًى، ورابع اختلطت ملامح وجهه بشكل عجيب

وفقد ذراعاه شكلَهما الطبيعي، وهو يدور على غير هدًى. كانوا أحياء على الأقل، لكن عشرات الهياكل العظمية هنا وهناك، والأسمال البالية والألواح المتآكلة المتناثرة بما يشبه المقبرة، كان يشي بأن هناك مصائر أبشع تنتظر الفاشلين هنا.

قال «محند»: «هؤلاء من فشلوا في تنفيذ الطلاسم الخاصة بهم، لكن لا تخف، سيكون كل شيء على ما يرام».

– «من أين لك كل هذه الثقة؟».

– «أنت مغربي مثلي، نحن الأقوى في التعامل مع مثل هذه الأشياء، أليس كذلك؟».

بدا لي أنه يداري خوفه هو الآخر، ورغم ذلك قلت مؤمِّنًا: «بالتأكيد!».

– «سعيد بأنني تعرفت على مغربي مثلي، يجب علينا أن نؤازر بعضنا البعض».

– «أكيد، قل لي: هل يوجد طلبة سحر آخرون هنا؟».

– «الكثير، عرب وأجانب، يهود ونصارى، بعضهم يختفي ويظهر، منهم من يعتزل الآخرين للتدرب على طلسمه، ومنهم من يتعرض للعقوبة من خادمه؛ فيتحول إلى أحد التعساء هناك، والكثير منهم يتربص بالآخرين».

– «ماذا؟».

– «نعم، لا تعلم ماذا يفعل الجوع بالشخص هنا، ربما يقتلك لمجرد لقمة، هذا بجانب الغيرة والرغبة في إقصاء أكبر عدد من المنافسين، إنها مسألة حياة أو موت، هل أحضرت معك مئونة كافية؟».

«يا له من سؤال؟» فكرت وأنا أشعر بالمأزق، ضحك «محند» وقد لاحظ ارتباكي، ثم عبث في جيب محفظة جلدية تتدلى من كتفه، وأخرج تمرًا وزبيبًا ناولني منهما وقال:

– «خذ، نستطيع أن نتقاسم مئونتي».

قلت وأنا أقبل عطيّته: «وماذا ستفعل بعد أن تنفذ؟».

اقترب من أحد الصواعد الحجرية، ومد يده ليخرج منها شيئًا، يضمه بقبضته، ثم فرد قبضته أمامي، لتظهر دودة مضيئة، وقال:

– «هذه يرقات سراج الليل؛ وهي أحد الأسباب التي تجعل المغارة مضيئة هكذا، ليس كل المغارة طبعًا، فبعض أطرافها أشد ظلمة من الليل البهيم، لكن بما يكفي لكي لا نقضي الفترة كالعميان».

– «ماذا بشأنها؟».

دسها في فمه وابتلعها، مردفًا:

– «لقد اعتدت على طعمها المقزز، منذ شهر تقريبًا وأنا أتناول منها».

ثم قادني إلى كهف موارب في المغارة، اتخذه بيتًا، وشاركني فراشه.

أشارت ساعتي إلى الثانية عشرة، واكتشفت أن هاتفي صار بلا فائدة بعد أن نفدت بطاريته، فرميته، وقبل أن أنام سألني «محند» وهو يعد سريره:

– «كيف وصلت هنا؟».

ترددت وهلةً أن أجيب، ثم حسمت رأيي وحكيت له الحكاية باختصار، لم يخفِ دهشته، وشكُّه لم يخطئ الطريق إلى ملامح وجهه،

ثم قال وهو يحك رقبته بحركة عصبية:

– «غريب، لا أحد على قدر علمي دخل المغارة بطريقة أخرى كطريقتك، هناك مدخل من مصر للمغارة بالفعل، لكنه يفتح مثل جميع المداخل في وقت محدد لدى العارفين».

ثم خلد للنوم محتضنًا دهشته وشكّه مع حقيبته الجلدية، ولوحه الخشبي حيث دوّن طلسمه الخاص، «هو لم يثق بي تمامًا بعد كل شيء»، فكرت...

ثم نمت بدوري.

* * *

عندما استيقظتُ لم أجد «محند» بجواري، وخلت أنه تركني إلى غير رجعة. خرجت من الكهف لأجد قريبًا جدول ماء عذب، غسلت وجهي وشربت ماءه الزلال. ثم ظهر «محند» في الضفة المقابلة للجدول، مردِّدًا تحية الصباح.

رددت التحية وأنا أتابع باندهاش وتوجس ما فعله تاليًا.

كان يغسل خنجرًا مغربيًّا من دماء حمراء قانية في ماء الجدول، الذي نفضت يدي منه لا إراديًّا وأنا أهتف: «ماذا فعلت أيها المجنون؟».

– «هذا؟ لا شيء، سأشرح لك».

– «ابتعد عني، هل قتلت أحدًا هنا؟».

بارتباك أعاد خنجره إلى محفظته الجلدية وقال:

– «لقد كان دفاعًا عن النفس أقسم لك، ستعتاد هذا الأمر هنا، فقط كن حذرًا كما سبق ونبّهتك».

لم أصدِّقْه، وحاولت الانفصال عنه بدون أن أثير ارتيابه، الآن يطلب مني الحذر!!

فجأة تحول إحساسي نحوه إلى نفور تام، ورغم اعتذاره ومحاولة شرحه، لم آمن له، وافترقنا كل في طريق، لم أكن أود أن يحمل ضدي ضغينة، لذلك جعلت الأمر أقل عدائية ما أمكن.

* * *

في الأيام التالية قضيت وقتًا في تعلُّم تضاريس المغارة، أين توجد الأحجار الطلسمية السوداء، اصطياد حشرات سراج الليل وبلعها، أمكنة وجود الجداول المائية والينابيع. وقابلت طلبة آخرين من العراق ومصر والسودان وغيرها، تجنبت معظمهم، وحاولت الإفلات من مراقبة آخرين، واكتسبت خبرة في تفاديهم، حتى إنني وجدت كهفًا في مكان إستراتيجي، يجعل من الصعب على أحد مفاجأتي فيه، ويعطيني أفضلية في مراقبة جزء كبير من المغارة.

كان عليَّ فيما بعد إيجاد طلسمي الخاص، وقضيت أسبوعًا أو يزيد وأنا أمر على الأحجار السوداء بكفِّي، بعضها كان في أماكن لا تخطر على بال، وأخرى معلقة في سماء المغارة بشكل يكاد يستحيل لمسها. وقد وجدت حجري الخاص في قعر بحيرة صغيرة.

وجدت البحيرة في داخل كهف ما، وقد أذهلتني الأضواء التي تومض في قعرها مضيفة تأثيرًا خلابًا لا يوصف، وشعرت بحاستي السادسة تناديني، وجدت نفسي أغوص أسفل وأصطدم بحجر أسود شديد اللمعان. ما إن وضعت كفي عليه حتى تألقت حروف لاتينية بسطحه، أفرغت الهواء من صدري غير مصدِّق، وحجبت الفقاعات

المندفعة من فمي وأنفي، رأيتُها لوهلة قبل أن أصعد للسطح وأعب الهواء في صدري من جديد، ثم أعود لصخرتي، وأدوِّن الطلسم في رأسي.

المدهش في الأمر أنني فهمت الكلمات بسهولة، لكن كيف لا وأنا الذي نطق أولى كلماته بلغة إسبانية؟

عدت إلى كهفي ممتلئًا بالإثارة، تفيض النشوة من حركاتي وسكناتي، فقد اقتربت أخيرًا، سأعرف معنى أن تكون ساحرًا حقيقيًّا، كنت أملك ذاكرة تصويرية، فلم أحتج لتدوين شيء، وشرعت أنفذ الورد الخاص باستدعاء خادمي، دون خطأ، أردد الكلمات وأنفذ الحركات، في ترتيب معين لا يقبل الخطأ، مجرد الخطأ، وإلا كانت العاقبة وخيمة.

وظللت على تلك الحال وقتًا كثيرًا لم أعد أدرك كم مضى منه، اعتكفت في كهفي طوال تلك المدة، إلا من خرجات بسيطة للاستحمام في البحيرة حيث عثرت على الصخرة، أو في رحلة التقاط الحشرات التي تعودتُ طعمها المقرف، وتحملته لسدها جوعي فترات طويلة، كان كل شيء معدًّا له هنا مما ينبئ عن معرفة عميقة من الأسلاف، زادت حماسي وشغفي للمزيد...

وفي يوم ما، بينما كنت مستمتعًا في مياه البحيرة، شعرت بحركة ما في المكان، فتيقظت حواسي وأنا أهتف: «مَنْ هناك؟» لكن هتافي قوبل بالصمت. خرجت بحذر من الماء، واتجهت نحو ملابسي التي تركتها فوق صخرة صغيرة، عيناي تدوران يمينًا وشمالًا على ضوء باهت من البحيرة ووميض السقف، ثم في آخر لحظة تجنبت طرف

شفرة سيف قصير كادت تفصل رأسي عن جسدي، وأدركت أن رجلًا قوي البنية يحاول قتلي.

كان يرتدي قبعة سوداء تتدلى من جانبيها خصلات شعر أسود مميزة، ذكرتني بصور اليهود المتطرفين في نشرات الأخبار عن القدس المحتلة، الشيء الذي أثارني ونفض عني الخوف ليحل محله شعور عارم بالغضب والثورة، فلم أهرب من القتال، بل شرعت أتفادى ضرباته التالية، وأحاول اقتناص فرصة لخطف سلاحه القصير، الذي يبدو أشبه بخنجر عُماني، ويبدو أنه فطن لما كنت أحاول فعله، فاتَّخذ حذره، وبينما نحن في كرٍّ وفرٍّ، وجدت نفسي محاصَرًا في بقعة من الكهف، واقترب منِّي بحذر محاولًا ألا يضيع الفرصة، لكن فجأة برز من خلفه «محند» بخنجره المغربي، وأطاح برأسه في رمشة عين.

العجيب أن أول ما تبادر لذهني سؤال عن قوة ذراع «محند» أو حدة سلاحه التي تمكنت من إنهاء الأمر بضربة، ربما للأمر علاقة بطلسمه.

كان يلهث، ويحك رقبته بحركة عصبية، ثم اقترب مني والدماء تغطي وجهه، وقال: «أنت في أمان الآن، لا تقلق».

وأردف: «هل فهمت الآن نوع الأشخاص الذين ستقابلهم هاهنا، وما يتحتم عليك فعله لتعيش؟».

فحص جثة اليهودي وفتش في حقيبته، ثم أخرج منها مسدسًا فارغ الطلقات، قلَّبه في يده ثم قال: «الملعون كان يحمل مسدسًا، ترى كم قتل به من طالب معنا؟ لا شك أن الخنجر العماني قد سلبه من أحد ضحاياه».

وأخذ مئونته من الطعام، ثم سلمني الحقيبة والخنجر العماني قائلًا:

«أنت تعرف ما عليك فعله الآن!».

* * *

قضينا الأسابيع التالية نتعلّم أنا و«محند» السيطرة على خادمينا، وعرفت أن اسم خادمه «مسحل»، بينما اسم خادمي هو «هالفاس»، وكان يبدو كحمامة شيطانية عملاقة، وقد يتشكل بهيئة بشرية، ألطف من مظهر «مسحل» المسخ العملاق الأسود على كل الأحوال.

كان علينا تنفيذ ما يمليه علينا الخادم من شروط في سبيل إتمام العهد بيننا، وقد طمأنني بأن الشروط غالبًا تكون في المتناول، غير أنها قد تكون قاسية في بعض الأحيان، وحكى لي قصة، قد تبدو طريفة لكنها مرعبة أيضًا، عن طالب مع خادم اسمه «ميمون النكّاح».

سألني «محند» ذات سمر: «لماذا تريد أن تكون ساحرًا؟».

سردت له حكايتي مع قدراتي العجيبة في صغري، وقد بدا متفهِّمًا إذ قال:

- «لذلك تمكنت من السيطرة على خادم نصراني، لقد استغربت كثيرًا وشككت أنك تدين بدين النصارى، يبدو أنك كنت مميزًا قبل أن تدخل المغارة، وحفيد ساحر فرعوني فوق كل ذلك! أنت محظوظ».

- «لا أُسَمِّي هذا حظًّا، يبدو أكثر كلعنة، وأنت؟».

- «حكايتي مختلفة قليلًا، فأنا طالب في زاوية- مكان للعلم والعبادة ملحق بمسجد- لشيخ معروف في أقاصي الصحراء، من

خريجي المغارة، اعتزل الناس وتفرغ للعلم، سخَّر خادمه وسحره لطلب المعرفة، مِثل شيخي من الأسلاف القدماء هم من صنعوا المغارة بعلمهم الخارق، وقد ندر أمثالهم في هذا الزمان، الكل صار يتطلَّع لاستعمال موهبته في أغراض دنيوية، رغم علمهم بما ينتظرهم في العالم الآخر...

أنا أريد أن أسير على درب شيخي، أريد القدرة من أجل المعرفة لا غير، أريد أن أتعمق في دروب السحر والكهانة، وأصل إلى المعرفة الخفية، تلك التي لا تمنح أسرارها إلا للصفوة العليا من السحرة».

للحظة أدركت سخف مسعاي مقارنة به، وأشفقت على نفسي.

في الساعات الأولى من صباح اليوم الأخير شرعت أبواب المغارة تفتح، بدأ الأمر بزلزال هزَّ كل شبر في أرجاء المغارة، وتسلل إليها نور باهر من فتحات عدة، كان علينا اجتياز حارس المغارة للظفر بفرصة الخروج مع الخادم، أخبرني «محند» أن عليَّ أن أكون أكثر حذرًا من كل الأسابيع السابقة؛ لأن اليوم يعرف ظهور أكبر عدد من السحرة، وكلهم مسلحون ومحروسون بخدمهم من الجن والشياطين.

لكنه نسي أن يخبرني أن أكون حذرًا منه بالتحديد!

ففجأة بدون سابق إنذار، أصاب ذراعي بخنجره فأدماها، وخلت أنني سأفقد جزءًا منها لولا سرعة بديهتي. كان يحك رقبته بجنون ولم يترك لي فرصة لأسأل وقال:

– «لم أعد أستطيع، لم أقتل أحدًا لأيام، أنت تعرف شرط الخادم وهذه الأمور، عليّ أن أقتل شخصًا كل حين وحين وإلا فقدت السيطرة على «مسحل» خادمي، وأنا لا أملك هذا الترف يوم تخرُّجي».

لهذا كان يحك رقبته في فترات معينة منذ أن قابلته، لا بد أنها إشارة ميعاد تنفيذ شرط الخادم، لم تكن المرة الأولى التي اكتشفت فيها الأمر، لم تكن دفاعًا عن النفس كما ادعى؟؟ ولا إنقاذه لي في المرة الثانية سوى إشباع لرغبته المجنونة كلما حك رقبته. كنت محقًّا بنفوري منه، ولم تخطئ حاستي السادسة هذه المرة أيضًا، فلم تجاهلتها ووثقت به من جديد؟

أمسكت ذراعي بغضب وهممت بقول شيء، لكنه قاطعني:

– «دعنا لا نطيل اللعبة أكثر من ذلك، فقد عرفتك مذ رأيتك، وتأكَّدتُ عندما حكيت قصتك، رغم أنك أخفيت كثيرًا من التفاصيل، لقد انتشرت صورتك في الأخبار منذ فترة، أنت ذلك الهارب الذي اتهموه بجرائم قتل الفقهاء المحترفين للدجل والشعوذة، آخرها في قرية «إِسْحنَان»؛ حيث عُثِر على الفقيه مكبَّلًا، مفصول الرأس عن الجسد، ومصابًا بطعنات عشوائية في مختلف أطرافه».

لقد صار اللعب بأوراق مكشوفة إذن، نطقت نداء الخادم فظهرت «هالفاس» الحمامة الشيطانية العملاقة، وأطلقت صوتًا عاليًا مزعجًا هز المكان، قبل أن يفعل «محند» المثل، ويظهر «مسحل» المسخ الأسود الهائل، وشرع خادمانا يتصارعان، ابتعدنا ما أمكن عن ميدان المعركة، فقد كانا يحطمان كل شيء في طريقهما. طبعًا كنت مستمرًّا على نهجي في الانتقام من الدجالين والمشعوذين، كما كنت صريحًا منذ البداية، لكنني أعترف أنني أغفلت أمر متابعة انتقامي هنا في المغارة، بعد انفصالي عن «محند»، وكهفي السري مليء بغنائمي من السحرة الذين قتلتهم، فلم أستطع الاستمرار بحمية الديدان المتوهجة طويلًا، كما

أنني لم أستسغ فكرة أن يخرج للعالم كل هذا الكمِّ من السحرة الذين سيعيثون في الأرض فسادًا، يا للخسارة! لقد كنت أريد استثناء «محند» دون غيره، فقد بدا لي صادقًا في مسعاه، وربما كان يريد استثنائي لسبب مشابه، لكن الأوان قد فات الآن.

استدرجت «محند» خلفي إلى كهفي، فقد كنت أحتفظ بمفاجأة هناك، وقد تبعني كالساذج، ربما لرغبته بالقتل التي لم يستطع مقاومتها إرضاء لخادمه الأسود «مسحل»، وما إن دخلت كهفي حتى أسرعت لحقيبة معينة من حقائب قتلاي، وأخرجت بندقية صيد وخراطيش، لقَّمت البندقية، وانتظرت غريمي حتى خطا داخل الكهف، ثم أطلقت النار من مسافة قريبة، وقد تفجر صدره تمامًا مخلفًا فجوة كبيرة.

فور مصرع «محند» سمعت خوارًا هائلًا، وخرجت من الكهف لأجد «مسحلًا» يختفي من صراعه أمام «هالفاس» خادمي المحاط بالطيور السوداء، وأجد الطريق مفتوحًا لنا أمام باب الخروج، طبعًا بعد مواجهة حارس المغارة.

لكنني لم أخرج!

لم تكن تلك نيتي أبدًا منذ البداية، فالعالم الخارجي لم يتقبلني كما كنت، ذلك الطفل المختلف غير العادي، لقبوني بأقذع النعوت؛ ممسوس، ملعون، شيطان، وتجنبني الكثير منهم، ومن تقبلني تقرب مني طالبًا التبرك بي وقضاء أغراضه، ثم هجرني وانضم للآخرين بعد أن فشل في تحقيق مسعاه.

هذا هو المكان الذي يليق بأمثالي، كنت متأكدًا من قراري، سأكون حارسًا للمغارة، ولن أترك شخصًا يخرج من هنا أمام ناظري.

كان أحد السحرة يتقدم من بعيد يسبقه خادمه... وكنت مستعدًّا للمعركة.

(تمت)

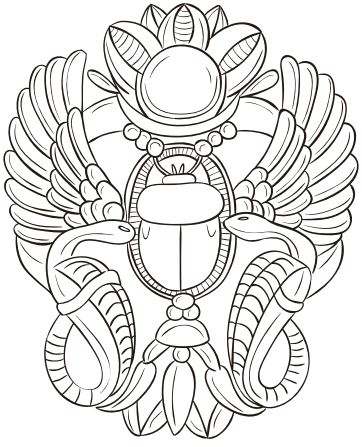

«عصام البرقوقي»

بقلم

أسماء أبو العطا

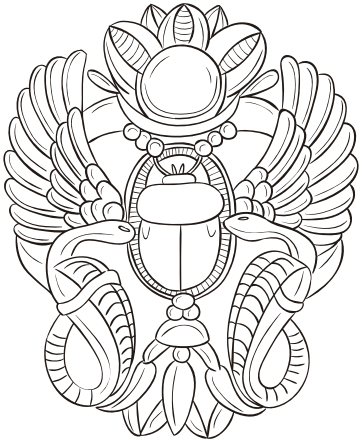

لم يخيَّل إليّ يومًا أنني سأخوض مغامرة كهذه على أرض الواقع، لقد سبق لي أن حلمت كثيرًا أنني أدخل عالم الجان وعوالم كثيرة لم أدرك كنهها، ولا أخفيكم سرًّا أنني كثيرًا ما كنت أشعر أنها لم تكن مجرد أحلام!

قراءتي واهتمامي كله منصب على عالم السحر وتحضير الأرواح، ومتعتي أجدها في البحث وراء أسرار الفراعنة القدماء، فيا لحياتهم الغامضة وما حوته من عجائب وكنوز، لذلك التحقت بكلية الآثار حتى أستطيع أن أكون على مقربة منهم، تخرجت منها منذ عامين، أصبحت شابًّا قويًّا مفتول العضلات، طويل القامة، لم أجد لي من يعينني جِدِّيًّا للوصول إلى هدفي، فأمي دائمًا ما تتذمر من أفعالي، وأبي على الرغم من أنه لا يتخذ أي موقف حيال هذا الأمر إلا أنني دائمًا ما أشعر في نظراته بمزيج من الأحاسيس بين التأييد والردع! لكن كل هذا لم يقلل من شغفي بالسحر وفك الطلاسم القديمة...

أعلم جيدًا أن ما من أحد من أصدقائي لديه نفس اهتماماتي الغريبة، بل إنهم جميعًا يخشونها خشية العاصي لثعبان القبر، لكني في الوقت ذاته سعيدٌ بتظاهرهم بالاهتمام؛ لأنهم كانوا يسعون بذلك إلى التقرب مني، وأنا أتلذذ برؤية الرعب على وجوههم كلما حكيت لهم عن تجاربي لمحاولة استحضار الجن.

على الرغم من كل الأمور الخارقة التي كانت تتخلل حياتي منذ ولادتي؛ والتي أظن أنها كانت السبب في عدم رغبة أمي وأبي في الإنجاب بعدي، فأنا وحيدهما، كانت حياتي تسير على نحو معتاد بالنسبة لي، إلى أن أتى ذلك اليوم الذي غيَّر مجرى حياتي.. حياتي التي اكتشفت أنني لم أعشها قَط قبل ذلك اليوم، فكيف لنا أن نعيش حياة بهوية وماهية ليست لنا! حينها فقط أدركت أنني كنت على حافة الهاوية والآن أنا في قاع الجحيم!

* * *

استيقظت فزعًا على صوت الجلبة التي أحدثتها أمي وصديقي «أحمد» وهما يدخلان غرفتي التي لا تدخلها الشمس أبدًا، ضحكت أمي بانتصار عندما رأتني أجلس على السرير والعبوس يحتل قسمات وجهي، فأدركت أنها وصلت لمبتغاها، فقد فعلت كل ذلك فقط من أجل إيقاظي، فرددت الجملة التي دائمًا ما كان يرددها أبي وأنا أنظر إلى أمي بحنق:

- «لا يستطيع أحد من الإنس إفزاعي أبدًا!».

عندها استدارت أمي وخرجت من الغرفة بلا مبالاة وكأنها اعتادت على الأمر!

نظرت بعين نصف مغمضة إلى «أحمد» الذي جذب الكرسي وجلس عليه بجوار السرير تفحص عيناه الفوضى التي تغرق فيها غرفتي بين كتب ملقاة بجواري على السرير وعلى مكتبي الصغير، وأوراق مبعثرة في كل مكان، وجمجمة بشرية، وقدر به بخور وآخر لإشعال النار، وقارورة بها سائل أحمر، ابتسم وقال وهو يشير نحوها:

- «هذا يشبه الدم كثيرًا».

فباغتُّه قائلًا: «لا يشبه، بل هو كذلك»!

لم يدخل أصدقائي إلى غرفتي سوى مرات قليلة جدًّا تكاد لا تذكر، نظرت إلى وجه «أحمد» منتظرًا أن أرى الرعب في عينيه، لكنني تفاجأت بهما يلمعان بشغف غريب!

اعتدلت في جلستي وأشرت إليه برأسي وأنا أقول:

- «ما الأمر؟! هات ما عندك».

- «لدي الكثير، ويحتاج إلى ذهن صاف، لذلك انتبه لي جيدًا، إنها فرصتك، بل فرصة عمرك التي لن تتكرر».

- «وماذا بعد! ألن تكف عن هذا المزاح السخيف؟! إما أن تقول ما الأمر أيها التافه أو تتركني أكمل نومي الذي مزقته بسخافتك...»

نظرت نحو باب الغرفة وأنا أقول بصوت منخفض وحذر شديد: «وتعاون أمي».

ضحك عاليًا فشعرت بالرغبة في صفعه على وجهه: «ستفضحنا أيها الأبله».

مد يده إلي بجريدة، وقال: «انظر إلى هذا».

أخذت الجريدة من يده، ومشطت الصفحة بعيني حتى وقع بصري على خبر اكتشاف مقبرة أثرية لساحر فرعوني، التهمت الخبر بعيني وقد عزمت على خوض التحدي، سأتحدى ذلك الساحر حتمًا...

حقًّا كما قال «أحمد»: «إنها فرصة عمري، ولا يجدر بي أن أتركها تهرب من بين يدي».

مرَّ الأمر سريعًا وأنا أشعر أنه حلم جميل، على الرغم من التوتر والقلق إلا أنني لم أنفك لحظة عن الحلم بأنني أصبحت المالك والحاوي لكل الأسرار الفرعونية، وحينها سأصبح الحاكم للعالمين السفلي والعلوي... الكون كله سيصبح رهن إشارتي.

* * *

بعدما أُغْلِقَ باب المقبرة علينا لم أعد أرى أيَّ شخص ممن كانوا معي! وبدأت أسير وحيدًا، لأكتشف أنني لست أنا، بل شخص آخر يخوض غمار حياة أخرى أكثر رعبًا من كل الذي قرأته!

هل أنا هذا الشخص؟! أم أنني واحد غيري يخوض غمار هذه التجربة؟! كانت أسوأ تجربة في حياتي، فقد ظننت أنني انتقلت للعالم الآخر عندما وجه ذلك الساحر عصاه بشعاعها الأحمر لينقلنا لأبعاد أخرى لنواجه أسوأ مخاوفنا على حدِّ قوله، هل يوجد أسوأ مما مررنا به؟! لم أقاوم واستسلمت لمصيري والشعاع يلقي بي لأحد تلك الدوامات، كأنني أمر بمرحلة مخاض جديدة، هل سأولد من جديد؟!

* * *

«بو» «بو» أفق يا رجل، هيا...

كانت يد أحدهم تتشبث بكتفي وتهزني بعنف، بدت الرؤية مشوشة لثوانٍ معدودة حتى أصبحت الصورة كاملة، وجدتني ممدَّدًا على أحد الأرصفة وبجواري شاب يحاول مساعدتي على النهوض، أشعر أنني أعرف ذلك الشاب، ولكنني لا أستطيع أن أتذكر اسمه ولا من أين أعرفه، بدأ الخوف يتسلل إلى قلبي؛ فنظرت إليه بعين مرتعبة ثم فررت هاربًا من أمامه غير مبال بنداءاته.

كان الظلام قد خيم في الشوارع لتصبح أكثر وحشة على يتيم مثلي فقد أبويه وارتمى في أحضان أسرة غريبة عنه رغمًا عن رب الأسرة إلى أن أُصْبِحَ الآن جليس الطرقات!

* * *

سرت على غير هدى، أتخبط في ذلك العالم العجيب، لا أدري أين أنا؟!

قطعت مسافة كبيرة وأنا أجري وألتفت حولي كالمجنون، تفاجأت بالصخور تحيط بي من كل جانب، والعرق يغرق جسدي حتى إنني شعرت للحظات أنني أغرق في بركة من المياه المالحة!

حرارة الأرض الصخرة تلهب قدمي على الرغم من حذائي الجلدي السميك، صرخت كثيرًا على أمل أن يسمعني أحدهم، ولكن دون فائدة، فالمكان خالٍ تمامًا! لمحت على مسافة ليست بالبعيدة، غابة كثيفة الأشجار، فاتجهت إليها مهرولًا على أمل أن تكون واقية لي من هذا اللهب...

عندما وصلت إلى أطراف الغابة كنت أشعر أنني ألتقط أنفاسي الأخيرة، وكأن قلبي سئم مني ويريد أن يقفز من بين ضلوعي، وقفت ألتقط أنفاسي وأنا أنظر إلى ذلك المكان العجيب! فلم تكن هذه الغابة تشبه بأي شكل الصورة المنطبعة في خيالي عن الغابات، فأشجارها تبعث الرهبة في النفوس، تنوعت جذوعها بين ضخامة ونحولة الجذع إلى حدٍّ غريب جدًّا وكأنك تنظر إلى عود قصب!

من تلك الأشجار ما علا وارتفع إلى حد يشعرك بأنها تعانق السماء، ولكن مهلًا، أين السماء من الأساس؟!

الآن فقط أدركت أنني بداخل كهف ضخم شاهق الارتفاع وممتد على مسافة كبيرة!

كلما نظرت إلى تلك الأشجار شعرت بقشعريرة تسري ببدني؛ وكأنني أصعق بتيار كهربائي، ليس ذلك لأن هذه الأشجار لم تبدُ بالشكل الطبيعي فحسب، بل لأنني ولأول مرة أرى أشجارًا سوداء اللون! أشعر وكأنها تحدق إلي بحنق شديد...

سرت بداخل ذلك الكهف بخطوات متعسرة حتى دخلت إلى منطقة بدت مختلفة تمامًا عن سابقتها؛ فقد بدت الأشجار هنا قصيرة للغاية، بل أقصر مني بكثير! كلما غاصت قدمي أكثر في هذا الكهف كلما حل الظلام، إلى أن شعرت بصعوبة في الرؤية، وتملكني دوار شديد، فتهاوت قدمي وسقطت أرضًا.

* * *

شعرت بالخدر يسري في أطرافي، والتقطتْ أنفي رائحة نتنة شعرت عندها بالغثيان!

لا زلت غير قادر على أن أفتح عيني، ولكن قد سرَت قشعريرة بجسدي عندما شعرت بشيء ثقيل يسير فوق جسدي، ولكن ملمسه كان يشبه الريش الناعم، أرغمني ذلك أن أفتح عيني فزعًا لأرتد فجأة إلى الوراء، ما هذا؟!

كنت محاطًا بكائنات قصيرة جدًّا وكأنها أقزام، أجسادهم في تكوينها تبدو كأجساد بشرية باستثناء بعض الشعيرات الطويلة بأجسادهم، بشرتهم سوداء كالليل؛ وكأنهم قد تفحموا إثر محرقة

هائلة، أفواههم كبيرة جدًّا إلى درجة تخيلت أنه بإمكانهم بلع طفل كامل على مرة واحدة! وأسنانهم الصفراء، بدت كأنياب تخرج من أفواههم غير مبالية بالرعب الذي تبعثه في نفسي، ولكن هذا الرعب لا يُذكر إذا ما قارنته بالنظر إلى أعينهم، إذا كان هذا التجويف الأبيض ذو الخطوط الحمراء الذي يحتل مكان الأعين يَصلُح أن يُطلَق عليه عين من الأساس!

كانت أجسادهم عاريةً تمامًا إلا من خرقة حمراء تستر عورتَهم، ازدردتُ ريقي بصعوبة وأنا أتنقَّل ببصري بينهم رُعبًا، أكاد أجزِم أنه لا يوجد منظر أبشع من هذا، أسمع الآن دقات قلبي وكأنها طبول الحرب.

صرخ أحدهم في وجهي بلغة لم أستطع فهمها، ولكنني عرفت الآن مصدر تلك الرائحة النتنة التي التقطتها أنفي قبل أن أُفيق، لقد كانت رائحة فم ذلك الكائن الغريب، وأنا لا زلت أجلس مكاني وقد احتل الخوف كل خلجة من خلجاتي، ابتعد عني ذلك الكائن أخيرًا.

وكان هناك ضوء أحمر ينبعث من مكان مجهول، وقعت عيني على مشهد مثير للاشمئزاز أكثر منه للرعب، عرش ملكيٌّ ولكنه لم يكن كأي عرش رأيته في حياتي، فقد كان العرش مصنوعًا من ثعابين سوداء، أو الثعابين هي التي صنعت العرش إن صحَّ التعبير، وعلى العرش كان يجلس قزم فوق رأسه ثعبان متوسط الحجم يتشكل على هيئة تاج، وخلفه مجموعة من الأقزام يصوبون رماحهم نحوي!!

صرخ القزم الجالس على العرش بكلماتٍ لم أفهمها وهو يشير نحوي؛ فشعرت بألم حاد يخترق صدري؛ وكأنني تعرضت للكي بالنار.

وقفت مذهولًا، متوجعًا من الألم الذي بدأ يغزو جسدي بالكامل.

فجأة قام القزم وغادر المكان واختفت الثعابين!

اقترب مني أحدهم وكان مختلفًا عنهم جميعًا؛ إذ كان الشعر يكسو جسده بالكامل، وله ذيل طويل مقوس وعيناه تشبه أعيننا، ولكنها كانت حمراء ومشقوقة بالطول!

جلس بجواري ونظر إلي متفرسًا وهو يقول:

- «ما الذي أتى بك هنا أيها الإنسي؟!».

وقعت كلماته عليَّ كالصاعقة فزحفت للوراء متكئًا على يدي...

- «أنا لا أعلم أين أنا، ولا كيف...».

قطع كلامي بإشارة من يده، ثم حركها في الهواء فأنشأت فرقعة كبيرة من العدم، وكان الأمر بالنسبة لي كشاشة عرض سينمائية.

* * *

الأقزام يتحركون في كل مكان ما بين لاهٍ ونائم، ازدادت سرعة الفيلم وظهر الأقزام ثانية لكن حياتهم قد تبدلت كثيرًا بشكل مثير للدهشة، فتراهم الآن متغلغلين بالأصفاد، وفجأة ظهرت كائنات أخرى تشبه ذلك الكائن صاحب الذيل، وتكررت حياتهم كما فعل بالأقزام من قبلهم.

كادت عيناي تقفزان من محجريهما وأنا أرى الصورة تتبدل الآن ليظهر عليها البشر، ودِدت لو أنني أستطيع أن أقفز بداخل الفرقعة وأعود إلى عالمي من جديد، لكن سرعان ما ولت الصورة وتبدلت بأخرى أكثر غرابة!!!

أقف الآن في وسط صحراء مترامية الأطراف، تحيط بي جبال شاهقة الارتفاع، أشعر بحرارة الجو تلتحف جلدي، صوت الرياح كدوامة من الزمن البعيد، أشعر أنها على وشك أن تقتلعني من جذوري وتلقي بي بعيدًا، صمت مخيف لا يقطعه سوى صوت الرياح، وقفت التفت حولي كالمجنون أبحث عن أي شخص، أو مأوى يقيني حرارة الشمس الحارقة إلى أن مزق الصمت صوت صرخات وزمجرات وحشية طغت على صوت الرياح القاسية، وهبت ألسنة اللهب الحمراء في كل مكان حولي، أخذت الصرخات تعلو وتعلو حتى شعرت أنها تخترقني كالسهام النافذة، وفجأة وكأن الجحيم لفظ شياطينه كما يلفظ البركان الثائر حممه، فرأيت على مسافة بعيدة جيش شياطين الجحيم يهرع نحوي وصرخاتهم تبتلع الصحراء الشاسعة، وعلى الرغم من أنهم أقزام إلا أنني أشعر أن وقع أقدامهم تدك الأرض والجبال دكًّا، وخطواتهم وكأنها تبتلع الأرض فتقرب المسافات بيننا كثيرًا.

لا شك أن الموت الآن قادم لا محالة، ولكن هل ستكون نهايتي بهذه الطريقة المرعبة؟! ولماذا؟!

دقات قلبي تتسارع، أشعر وكأنها قطار يسير على قضبان السكك الحديد المتهالكة، ولكن القطار انحرف الآن عن القضبان واصطدم بقطار آخر، وسقط قلبي الآن، بل قفز من بين ضلوعي، وكأنه يعلن تبريه مني، التفتُّ لا إراديًّا للوراء فعلمت لماذا هذا الشعور؟ كان المشهد خلفي لا يقل رعبًا عن مشهد جيش الأقزام الوحشي الذي أصبح الآن على مسافة قريبة جدًّا مني، جيش آخر من كائنات لها ذيول

طويلة مقوسة يقتربون نحوي صارخين ورماحهم مصوبة تجاهي، اقتربوا مني أكثر، فشعرت بألم حاد يشق رأسي، فأمسكت بها صارخًا ولكن صرخاتي خرجت مكتومة، لم يتردد صداها إلا برأسي، الألم الآن يغزو رأسي بالكامل فسيطر على عيناي، «جيش الحن» يقترب وصرخاته تمزقني، و«جيش الجن» أصبح على مقربة مني، أقسمت عليكم بـ «وعد سليمان» لا تتراجعوا يا ملوك الجان.

«جيش الحن» يخترقني الآن، وكأنني شبح لا يرونه، الأرض لنا، الملك لنا، سندمر كل العوالم، ونبني عالمنا من جديد.

أدور حول نفسي صارخًا، لا زال الألم يغزو رأسي، قدماي تتهاوى، الملك لنا، الأرض لنا.

الصورة أصبحت ضبابية، الآن لا أستطيع أن أرى المعركة بوضوح، الدماء السوداء تتناثر على جسدي، جثث الفريقين تحيط بي من كل جانب، أشكال بشعة وهم أحياء، فما بالك بهم وهم قتلى؟!

استسلمت قدماي لرحى الحرب الدائرة بداخلي، وفجأة صمت كل شيء ولم يعد سوى ظلام دامس!

* * *

فتحت عيني ببطء فرأيتني أجلس في نفس المكان، في ذلك الكهف الموحش وبجواري القزم العجيب.

- «أين أنا الآن ومن أنتم؟!».

كانت الكلمات تخرج مني كالهمس، ولكن القزم أجابني بصوت كفحيح الأفاعي وهو يقول:

– «نحن «الحن»؛ أول الكائنات التي سكنت الأرض، وتلك الكائنات ذات الذيول المقوسة هم «الجن»؛ وهم من أتَوا بعدنا، لكننا لن نترك العالم لهم ولا للبشر!».

– «أنتم «الحن»!!».

– «نحن... نحن «الحن» فأنت منا».

– !!!!!

فجأة بدأ القزم يتشكل على هيئة بشر! لكن الأغرب من ذلك من هو هذا البشري، إنه أبي!!!

ابتسم لي، ثم جلس بجواري وهو يقول:

– «سأحكي لك الأمر من البداية:

كان «الحن» هم أول الكائنات التي سكنت الأرض، لكن عندما أخطئوا استخلف الله من بعدهم «الجن» ثم «الإنس»، لكن «الحن» لم يستسلموا ولم يرضوا بذلك، فحاولوا كثيرًا أن يدمروا كل العوالم الأخرى ليبقى عالم «الحن» وحده من جديد، لكنهم فشلوا في ذلك، إلى أن تسلل مجموعة من رجال «الحن» إلى عالم البشر وأعجبوا بنساء البشر، فتزوجوا منهم وكان أولادهم يحملون صفات «الحن» والبشر معًا، وهكذا أنت!».

كادت الصدمة أن تعصف بعقلي؛ فتحدثت بتلعثم:

– «أتعني أنك منهم؟!!».

– «نعم فأنا من «الحن»، وجدودي كذلك، بدأ الأمر بجدي الأكبر الساحر «ريموتابي» الطيب، وعندما أنجبتك أرادت والدتك لك

أن تبقى بين عالم البشر، لذلك تركتكما، وقالوا لك: إنني مت، ولكنك رجعت إلي بمحض إرادتك الآن يا «إدجار»».

- «إدجار»!!!

كل ما أعرفه عن «إدجار» أنه كاتب رعب، ونعم أنا من قبلت بتحدي الساحر، ولكن كيف ذلك؟ أشعر أنني لست أنا وهناك يد تهزني بعنف.

صوت قادم من قاع بئر سحيق، عصاااام، عصاااام.

الرؤية الآن ضبابية، أخذت تتضح شيئًا فشيئًا، عصاااام، أصبحت الآن قادرًا على رؤية فوج من علماء الآثار ورجال الأمن يحيطون بي من كل جانب، وأنا ملقى على مقربة من كهف الساحر، الآن فقط أدركت ماذا فعلت بي لعنة «سيانامون»، وكيف أوصلتني بالعوالم الأخرى وأنا لست أنا، بل « إدجار آلان بو» الأب الروحي لأدب الرعب.

(تمت)

المختار

«بهاء العاجز»

بقلم

منار أحمد

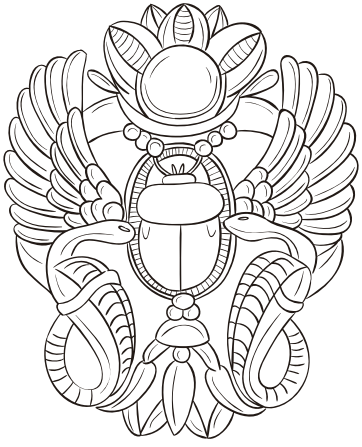

وعندما رأيتهم يختفون أمام عيني بلمح البصر الواحد تلو الآخر، وكأن كل الجمادات من حولي أطبقت على الصمت، ما إن أشار إليهم الساحر بذاك الضوء الأحمر تجمد الدم في عروقي، وتقطعت أنفاسي، وهبّ الفزع بداخلي خشية من أن يحين دوري، تمنيت ألا أكون على هذا الكرسيّ الأحمق الذي يقيدني، كنت حتمًا سأهرب بلا تردد، وها قد اخترقني ذاك الضوء اللعين، كان هذا آخر ما أتذكره.

استفقت فوجدت نفسي في مكان جدرانُه أشبه بالزجاج، كل ما حولي مطلي بالزجاج، حتى الأرض التي أطأ عليها يسيطر عليَّ شيء من الذهول بكينونة هذا المكان، وتساءلت: لماذا تم وضعي فيه؟

وبينما أتفحص المكان بعيني وقعت عيني للأسفل، ما هذا الذي أراه؟! هل أنا أحلم؟! أم ماذا وسعت عيناي؟! لم أصدق نفسي، أرى أنني أقف على قدَمي بينما أنظر لنفسي من انعكاس صورتي على هذا الزجاج، فعدت أنظر إلى قدمي وأتحسسهما بيدي، وأنا في ذهول شديد وأردد في نفسي: هل صحيح ما أراه؟! هل بإمكاني السير حقًّا؟! وهل أخيرًا سأكف عن استخدام ذاك الكرسي الأحمق؟! ولن أراه مجددًا.

وما إن رفعت عيني إلى الأمام وجدت كائنًا عملاقًا يعتريه الظلام الدامس كسواد الليل، يقف أمامي يملأ وجهه فم كبير متسع، علاوة على

أنه لا يملك أي شيء سوى ذاك الفم الضخم، لا عينان ولا أنف ولا شيء، تجمدت في مكاني لم أستطع التحرك لبشاعة شكله المخيف الذي أصابني بالذعر، وما إن أفقت حتى بدأت أركض سريعًا، وكلما سرت في طريق، أجده في محاذاتي كأنه ظلِّي تمامًا، وما إن توقفت وجدتُ أنه توقف أيضًا، ما هذا؟ هل هو ظلِّي حقًّا؟ ظللت أفكر في كيفية الهرب والتخلص منه وأنا أرى ضحكاته المرعبة لي عندما يدرك أنني لا حيلة لي منه، وأجد فمه اللعين يتسع بطريقة رهيبة تشعل الخوف بداخلي، فلم أجد ملاذًا سوى الركض، وجدت نفسي أتمتم ببعض الكلمات الغريبة، لم أعرف ماهيتها ومتى تعلمتها ولا كيف ذل بها لساني، ولكني لم أعرها اهتمامًا كثيرًا، الأهم أنني تخلصت منه، بمجرد البوح بها توقفت ضحكاته، وأصبح محاصَرًا في ظلي، عدت أسير في هذا الممر الزجاجي.

وأثناء سيري وجدت لافتة كتب عليها «إلى الأمام مباشرةً» بنفس لغة تلك الكلمات، فاتجهت إلى حيث أشارت اللافتة عليّ، فإذ بباب ضخم جدًّا أشبه بتلك الأبواب التي تجعلنا نعبر من عالم لآخر عبر الزمن، يبدو غريبًا حقًّا أنه صنع من حيوانات محنطةٍ أعينُهم تتحرك باستمرار، كيف ذلك؟ استمررت أُمعن النظر وشردت بعضًا من الوقت فيه، ومن ثم أفقت فذهبت أفتح ذاك الباب الضخم فأمسكت بالمقبض، وبكل قوتي حاولت فتحه بغير جدوى، وبكل الطرق، وأثناء محاولتي جرحت يدي وسقطت قطرة من دمي على مقبض الباب، ففتح.

ولكن ما هي إلا بضع ثوان وشردت فيما وقعت عيني عليه، رأيت أنني في عالم آخر بالفعل، ولكن عالم سحري أغرب من الخيال، الأرض مصبوغة بلون الدماء ولكنها بدت جافةً، وأناس غريبو الأطوار بأعين

متسعة يعتريها الظلام الشديد، وبثوب قاتم الظلام، ولاحظت شيئًا غريبًا بهم، فالجميع لديه علامة ثعبان مطوي، محفور على جبهتهم يمثل رمز ما لا نهاية، رأيت البعض يؤدي عرضًا سحريًّا، وآخرين يقومون بتحنيط الموتى عن طريق قراءة بعض الطلاسم، ومن ثمّ ينفخون داخل أفواه الموتى فتجف أجسادهم، رأيت من هؤلاء السحرة العمالقة والأقزام يفتعلون شجارًا على التهام حيوان ضخم لم أره من قبل، من الممكن أنه انقرض في عصري، والكثير من الأشياء الأخرى، وأنا أسير بين كل هذه الأشياء وعيناي تكادان تقتلعان، والجميع قابع فيما يفعله.

ولم يلحظني أحدٌ عدا واحد من هؤلاء السحرة قادم يرمقني بعينيه وينظر إلى عيني مباشرةً، وما إن اقترب مني حتى أعطاني كتابًا في يدي وذهب سريعًا، تفحصت ذاك الكتاب بعيني جيدًا من الخارج، لاحظت أنه محفور بنفس علامة الثعبان تلك التي على جبهتهم، وما هي إلا ثوان وتوهجت تلك العلامة بشدة لدرجة أنني كدت أفقد الرؤية من شدة توهجها فأغلقت عيني، وما إن فتحتها وجدت نفسي في مكان فارغ تمامًا، نظرت إلى جميع الاتجاهات، بدا لي كالشعاع ليس له بداية أو نهاية وأنا بمفردي، ولا يزال ذاك الكتاب في يدي، فتحت أول صفحة منه، بدأت أقرأ، لاحت كأنها رسالة كُتبت خصيصًا لي مكتوب فيها «لن تكون أنت، عليك أن تجتاز الظلمات الخمس، سيكشف السر ويعم الدمار ٢٠٠٠ أغمض عينيك»، فأغلقت عيني، وما إن فتحتها وجدت أمامي خمسة أبواب، تذكرت تلك الرسالة، والخمس مراحل، تمعنت في أول باب فقلت في نفسي: لا بد من معرفة ذاك السر، لذا عليّ أن أجتاز هذا الباب، يا ترى ما الذي يكمن وراء ذاك الباب؟! استجمعت قواي وجمدت قلبي...

الآن سأدخل، وليكن ما يكون، وما أن وطئت قدماي إلى الداخل تحولت إلى وحش بأسنان حادة وأعين حمراء ولسان أفعى وجسد قوي جدًّا، ويدي تحولت لآلة حادة، أحسست بالشر بداخلي، شر كبير جدًّا، لم أدرك لم قتلت كل هؤلاء الأشخاص، فقد قتلت ٢٠٠٠ روح بدون سبب، وما إن خرجت من تلك الغرفة عدت بشريًّا كما كنت، وأنا الآن أمام الباب الثاني حيث المرحلة الثانية، بدا لي الباب كالمرآة، وجدت شيئًا مختلفًا طرأ علي، عيناي أصبحت شديدة الظلام كسواد الليل مثل أعين هؤلاء السحرة، وبسرعة كان عليّ أن أجتاز الباب الثاني، لم يكن به مقبض فلم أستطع فتحه، وبينما أفكر في كيفية عبوره وضعت يدي على الباب فاخترقته كأنه باب سحري، فعبرت بداخله، فرأيت أنني في غرفة أشبه بمشرحة الجثث، جميع الأرفف مليئة بالجثث، فاجأني فضول فسحبت رفًّا من هذه الأرفف وأبعدت الملاءة عن إحدى تلك الجثث لأرى ما يكمن تحتها، ما هي إلا ثوان، أصدرت صوتًا كأنني صعقت، تهدجت أنفاسي بصعوبة شديدة، هذه الجثة إنها أنا، بهاء القديم العاجز، لماذا مت؟! وإن مت حقًّا فمن أنا، وفجأة تحولت جثتي إلى ثعبان غريب جدًّا فهاجم جبهتي، فأمسكت به وطرحته أرضًا، فأصبح رمادًا، فذهبت أتحسس جبهتي بيدي، أحسست بشيء محفور عليها، علامة ما لا نهاية، إنها تلك العلامة، وفجأة وجدت نفسي أمام المرحلة الثالثة؛ دخلت عالَمًا آخر وكأنني عدت بالزمن إلى الوراء، كنت في ساحة فرعونية، والجميع يركز انتباهه على معركة هائلة بين شخصين أظنهما ساحرين؛ انتهت المعركة بانتصار أحدهما، وما إن انتهى حتى لاحظت أنه يقترب مني، وإذا به يقول لي:

– «سأستعين بك في معركتي الأخيرة... انتظر فقط إلى أن يحين وقت مرحلتك المقبلة».

رأيت سربًا من الخفافيش آتية من السماء نحوي، وبدأت تتحرك حولي دائريًّا، وازدادت سرعتها فكونت ما يشبه العاصفة، وأنا بداخلها وجسدي يرتفع لأعلى، لبعضٍ من الوقت ظَلّ مرتفعًا، رأيت جميع الخفافيش قد دُمِجُوا في ثوب شديد السواد يشبه أجنحة الخفافيش، وجدتني أرتديه وإذ بي أُلقى أمام بابٍ أظنه المرحلة الرابعة منقوش عليه أحداث معركة فرعونية قديمة، فدخلت فيه وإذا بمعركة أخرى ولكن معركة كبرى، أظنها المعركة الحاسمة، فتذكرت كلمات ذاك الساحر في المرحلة السابقة، وكان معي ذلك الكتاب، فتحت الصفحات الأخرى، وجدتها فارغة تمامًا، تقدمت بالكتاب باتجاه ساحة المعركة مباشرة، سمعت بعض الناس تتمتم وتقول: «إنه الساحر «سيونامون» قد أعد العدة للساحر «ريموتابي»، وألقى عليه اللعنة الكبرى، أظنها نهايته حقًّا، فها قد قُطِّع أشلاء».

رأيتني أتقدم نحو حلبة المنافسة، وألملم أشلاء الساحر، والجميع يلقي بانتباهه لذاك الساحر «سيونامون» صاحب الانتصار العظيم.

وما إن انتهيت من تجميع أشلائه، وذهبت لمكانٍ ما لا أحد يراني فيه، فتحت الكتاب، اعتصرت بعض من هذه الأشلاء، فقطرت الدماء على تلك الصفحات الفارغة، وما إن سقطت الدماء ظهرت الحروف وأصبح باستطاعتي قراءتها، وكان المكتوب «لقد أتممت المراحل الفعلية بنجاح، أما عن المرحلة الخامسة فهي مرحلة شكلية حاسمة، والآن كُشف السر، أنت الحفيد المختار من الأحد عشر حفيدًا لإعادتي، وفك هذه اللعنة، والآن أنت موكل بالولاء الكامل لي، ومن الآن أنت تُدعى «روسيرف» الخادم الأمين للساحر «ريموتابي». وبعد

أن انتهيت من القراءة خرج ضوء شديد التوهج من تلك العلامة التي على جبهتي قاصدة تلك الصفحات، ومن شدة توهجه جعلني أفقد وعيي.

وفي اللحظات الأخيرة قبل فقداني للوعي بالكامل، رأيت رجلًا بعصا أفعى أمامي، كان وجهه مألوفًا لي، نعم، إنه ذاك الساحر الذي لملمت أشلاءه في تلك المعركة، ومن ثم فقدت وعيي بالكامل، وعندما أفقت وجدتني عدت للمقبرة في عالمي السابق، أسير خلف الساحر «ريموتابي» في مواجهة بينه وبين الساحر «سيونامون»، ونشبت معركة هائلة أمام باقي أحفاد الملك هزت المكان بالكامل، وظن مَن خارج المقبرة بوجود زلزال بمقياس «٨ ريختر»، حيث كان الساحر «ريموتابي» أقوى من ذي قبل بعدما فككت تلك اللعنة، لم يكن بإمكان «سيونامون» المواجهة، فكل مبادرة منه باءت بالفشل، واستجمع «ريموتابي» قواه مرة واحدة، وسلطها صوب قلبه مباشرةً فانتزعت روحه من جسده وخرّ صريعًا، وتحجر جسده كالصخرة الصماء.

انتهت المعركة بالنهاية الأبدية لساحر الشر «سيونامون» في تابوت زجاجي يأتون إليه من كل أنحاء العالم ليروا هذا الاكتشاف العظيم؛ حيث إنه أول ساحر يتم الكشف عن مقبرته في التاريخ الفرعوني بأكمله، وسُجِّلَت أحداث كل المعارك التي دارت معه على جدران المقبرة، ولُقِّب بـ «شيطان السحرة»، أظنها كانت نهاية عادلة له، أما عن الساحر «ريموتابي» فقد عاد لعالمه، وعدتُ معه، أحببت جدًّا هذا العالم لكوني «روسيرف»، لا «بهاء» العاجز.

(تمت)

«هناء أحمد السيد»

بقلم

فادية رمضاني

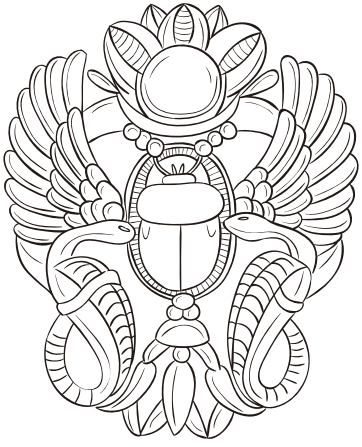

* قبل اليوم المشئوم.....

أخذتُ أركض بما أُوتيت من قوة في ذاك الفضاء السرمدي، أرمي بخطواتي في ذلك الظلام الدامس، غير مبالية بمصيري المجهول، فتارَة يُهيأ لي بأنني أركض فوق الماء، وتارة أخرى كأنني أركض في الفضاء، لم أمتلك من الوعي ما يكفي لأتدبر هذه الحوادث الغريبة، فكل ما كان يشغلني هو الخلاص من مخالب ذاك الشيء المخيف الذي يتتبعني وكأنه ظلي، يهتف باسمي بطريقة مرعبة، ويضحك مني بطريقة مُحَطِّمَة للأعصاب، لم أكن جريئة بما يكفي لألتفت، وأحدد موقعه، كنت فقط أركض وأركض، أنهكني الإعياء، ما عاد بمقدور ساقيَّ المتورمتين أن تحملاني أكثر، ما العمل؟

فجأة وقع نظري على قصر ذي نوافذ مضيئة، فقررت اللجوء إلى أهله قصد الاحتماء بهم، حثثت خطواتي، أدنو منه، ألفيت الناطور نائمًا، فآثرت ألا أوقظه، وتسللت إلى الداخل، اقتربت من الباب، دفعته بأنامل مرتجفة، ثم دلفت، وما إن أغلقت الباب من خلفي حتى خيمت الظلمة على المكان، دبت ببدني رعشة هستيرية ثبطت تفكيري، وشلّت حركتي، فانتصبت في مكاني كالصنم، فإذ بذاك الصوت الرهيب يتبادر إلى مسامعي من جديد:

- «إلى متى تنوين مواصلة الهروب؟».

قاطعته بنبرة مرتجفة:

- «من أنت؟ وماذا تريد مني؟».

استرسل بنبرة واثقة وكأنه لا يعبأ بكلامي:

- «أرأيت كيف ساقتك قدماك إلي؟».

- «ماذا تريد مني؟».

يخيم الصمت على المكان من جديد، فجأة ينتابني شعور غريب، وكأن قدمي متنملتان، سربٌ من النمل يتسلقني: ساقي، بطني، صدري، ذراعي، وما كاد يبلغ عنقي حتى همس لي ذاك المجهول:

- «أريد روحك!».

كاد يغمى عليّ لمجرد تخيله يقف بالقرب مني، وأنا لا أقوى على رؤيته، ثم أحسست شيئًا سميكًا جدًّا يشبه حبلًا رفيعًا، يلتف حول عنقي، وكأنه يود أن يخنقني، اتسعت أحداقي، تزاحمت أنفاسي، وكأن الموت حضرني، وكلما حاولت أن أفك نفسي من قبضة ذاك الشيء الغريب، أو أن أمسك به كان يشتد في الالتفاف حول عنقي أكثر، لم أتمكن من لمسه حتى، وكأنه شفاف، وكأنني أحاول الإمساك بالماء، فجأة يقول لي:

- «لا تقاومي! فأنت أضعف من أن تتحديني».

لم أمتلك من القوة ما يمكنني من الرد عليه، استمررت في مقاومته، بينما كان هو يضحك من استعراضي البهلواني، وأنا ألوح بيدي في ذاك الظلام الدامس على أمل الإمساك به، وهنت قواي،

توقفت عن المقاومة، وقررت أن استسلم للموت، فأغمضت عينيَّ، واسترخيت منتظرة أن تغادر تلك الروح جسدي النحيل، فيرفع أذان الفجر لأستيقظ فزِعة، أصرخ كالمجنونة، كنت في حالة مزرية، أرتعش من رأسي إلى خنصر قدمي، أتعرق بطريقة عجيبة، أحاول ابتلاع ريقي الجاف، كان نبضي متسارعًا، وأنفاسي متزاحمة، تدخل أمي مهرولة، فتعانقني، وتمسح على رأسي برفق مرددة:

- «كان كابوسًا! كان كابوسًا! بسم الله الرحمن الرحيم! لا تخافي، انظري أنا معك، ونحن في بيتنا!».

وبعد أن هدأت، وعادت أنفاسي إلى وتيرتها المعتادة، حملقت في عيوني مطولًا، ثم قالت:

- «أهو نفس الكابوس؟!».

أجبتها بنبرة يرهقها الإعياء:

- «أجل، ذاته».

- «عودي للنوم الآن! سأبقى بجانبك».

سألتها:

- «اليوم هو الخميس؟!».

- «بلى! لمَ تسألين؟».

- «ألا تلاحظين أن هذا الكابوس لا يراودني إلا وكان اليوم خميسًا!».

أطرقت متأملة، مستغربة، ثم قالت بنبرة مترددة:

- «هناء!».

- «نعم!».

- «عندي اقتراح، ما رأيك لو...؟ يعني: لو نقوم بزيارة للشيخ «المبروك»، لعله يفسر لنا أسباب كابوسك، ويساعدنا في استرداد «حاتم» خطيبك، الخالة «فتحية» زارتني صباحًا، وقد أخبرتني بأن قريبة لها تخلى عنها خطيبها مثلك، ولما زارت «الشيخ المبروك» ساعدها على استرداده، والدليل أنها متزوجة منه الآن، وقد رُزقت منه بولدين».

قاطعتها بنبرة مستغربة:

- «ذاك المشعوذ! مستحيل!».

ترد متذمرة:

- «على راحتك! أنا فقط وددت لو...».

- «لا داعي! لا تقلقي، أنا بخير، ثم إنني تعودت على ذاك الكابوس، أراه منذ أحد عشر عامًا، أما «حاتم» فلا يهمني أمره».

- «كما شئت، أنا فقط ظننتك تعنين ما قلته البارحة!».

- «ما قلته البارحة!».

- «أنا لم أقصد أن أسترق السمع، لكنني سمعتكما تتجادلان البارحة في الحديقة، وفكرت في أنك كنت جادة عندما قلت له بأنك لن تسمحي له بأن يتملص منك بهذه السهولة!».

- «أنا! أنا قلت ذلك؟ متى؟».

- «استنكري! ثم أخبريني كيف علمت أن أباه اقترح عليه أن يتزوج» فرح» ابنة عمته الراحلة، على الرغم من أنه تناقش في الأمر مع أبيه على انفراد قبل ساعة من قدومه إلى هنا! كيف علمت بذلك، وأهله لم يعلموا به حتى؟».

– «أنا! لكن... أنا لا أعرف عما تتحدثين، ولا أذكر أنني قلت شيئًا مماثلًا».

– «لكنني سمعت كل شيء، وأنا مستعدة لأحلف لك بما شئت لتصدقيني».

– «عجبًا! صرتُ أفعل أمورًا عجيبة ومن دون علمي!».

كنت شاردة بما قالته والدتي عندما وصلتني رسالة على الفيس بوك، للحظة ظننتها منه، فهرولت لفتحها، لأجدها من رفيقتي، فقمت بالرد عليها، ثم أخذت أتجول بين الصفحات، ليتجلى لي إعلان تحدي ساحر في مقبرة، لم أكن بمزاج يسمح لي بالخوض في هذه الترهات، فتجاهلته، فإذا به يراوغني، فكلما سحبت الشاشة نحو الأسفل، أعود إلى الإعلان بطريقة عجيبة، وكأن أحدهم يسحب الشاشة في الاتجاه المعاكس، فجأة تم النقر على زر اشتراك، لكنني لم أفعل! ولا أرغب بالاشتراك! ماذا يجري هنا؟! ترى هل هنالك من يستخدم حسابي غيري؟! أسرعت لتفقد جهات الاتصال، لكن الموقع أكد لي أنني جهة الاتصال الوحيدة، وما كدت أتدبر هذه الورطة، حتى وردني إشعار بقبولي لخوض التحدي، لكن ما الذي يجري هنا؟! ما لي وما لعالم السحر والشعوذة؟!

* * *

* اليوم المشئوم.....

بعد أن أصابتني الأشعة التي سلطها علي الساحر بواسطة عصاه العجيبة، ألفيتني في مكان قصي، شديد الظلمة، بالكاد أرى خطواتي،

أخذت أمشي بحذر، إلى أن وصلت إلى قصر عتيق، تنبعث منه أنوار خافتة، كان يشبه كثيرًا القصر الذي أزوره في ذاك الكابوس اللعين، لا بل إنه ذاته، لم أرغب بالدخول إليه، حاولت أن أغيّر مساري، لكن الأرض أخذت تهتز بطريقة مرعبة، ومهولة، محرضة تربتها كي تجرني جرًّا باتجاهه، ولما بلغت مدخله الرئيس تبادر إلى مسامعي صوت يخاطبني.

– «ضحية جديدة، أعني ضيفة جديدة بعد كل هذه السنوات!».

قلت بنبرة مرتجفة، وأنا أتفحص في الظلام الدامس.

– «من يكلمني؟».

يجيبني:

– «الاسم: «هناء أحمد السيد»، من الجيزة، العمر: ٢٥ سنة، تعملين بصالون حلاقة، ابنة تاجر الأقمشة «أحمد السيد»، و«زينب متولي»! صح؟».

– «من تكون؟».

فجأة توهجت لي عينان حمراوان مرعبتان في ذاك الظلام، فوليت مذعورة، استغرقت لحظات لأبتلع ريقي وأتفحص هيئته، ليتبيّن لي أنه طائر بوم يقف مترنحًا في أعلى الباب، فيرد عليّ:

– «أنا البواب، وكنت فقط أتأكد من هويتك، الآن بإمكانك الدخول، أهلًا بك».

ثم حلّق بعيدًا آذنًا للباب أن يفتح، بعدها تقدمت بخطوات لا إرادية، لأجدني أمام باب خشبي، مقرف، تملؤه طلاسم غريبة، من

دون أن ألمسه، يقرع جرسًا يشبه في رنينه جرس الكنيسة، يفتح الباب تلقائيًّا، لأجد كتلة من الظلام تترقبني، لوهلة تملكني الخوف وعزمت أن أتراجع، فإذا بأحدهم يدفعني إلى الداخل ويغلق الباب خلفي، لكن من فعل هذا؟! كانت رائحة المكان مقرفة، وكأنه مشرحة للموتى، بعد لحظات سمعت صوتًا أنثويًّا يقول:

- «لقد أقبلت، هيا تعالوا! وأخبروا جلالته بأن ضيفته قد وصلت».

يهتز المكان بوقع الخطوات، وكأن كمًّا هائلًا من الناس يركضون، ينزلون على الدرج، أبواب تفتح، وأخرى توصد، أستطيع أن أميز وقع الرجل من وقع الأنثى، ووقع الصغار الذين يغزون المكان وإن كنت لا أراهم. كنت أرتجف خوفًا، تائهة، مشتتة، شاردة، قبل أن يتبادر إليَّ وقع خطوات حادة بأرجاء المكان، فتوقف الهمس والضجيج، كنت أشعر بالغرابة وكأنني بمتاهة، لا أعرف ما يجري من حولي، على حين غرة، شيء ما يلتف حول عنقي وصوت بجوار أذني يهمس قائلًا:

- «لقد جعلتني أنتظر هذه اللحظة كثيرًا».

حاولت أن أقاومه، لكنه كان أقوى مني، أنا أتخبط بين ذراعيه، وهو يسترسل بنبرة مستفزة:

- «هل عرفتني؟».

أومأت برأسي منكرة، فهمس لي:

- «أنا اللعنة التي تلازمك، كابوسك الذي ترينه كل خميس».

دبت رعشة الخوف بسائر بدني، ثم صرخت كالمجنونة:

– «أين أنا؟ ومن أنتم! وماذا تريدون مني؟».

فتوهجت لي عيون حمراء متوزعة بتفاوت في ذاك الظلام الدامس، ثم أخذت تدنو مني، تحاصرني، وكلما تقدمت خطوة نحوي وليتُ باثنتين، وما كادت تنقض عليّ حتى انقشع الظلام لأجدني وسط قبيلة من مخلوقات عجيبة، تشبه في هيئتها البشر، عيونهم متوهجة، بشرتهم شاحبة، أنيابهم بارزة وحادة، يلبسون رداء أسود، موحدًا، طويلًا، ذا قلنسوة، أظنني عالقة بين مخالب قبيلة «مصاصي دماء» على ما يبدو!

يرد عليّ ذاك الغريب من جديد.

– «أخبرتك بأنني أريد روحك!».

التفت فزعة، لأرى خلفي مصاص دماء أيضًا، لكنه يختلف قليلًا عن الآخرين، كان قوي البنية، شاهق القامة، يضع على رأسه تاجًا، أظنه الملك، يدنو مني وعيناه متوهجتان بالرغبة.

يسترسل...

– «ألم أقل لك: إن قدميك ستسوقانك إلي؟!».

– «أنا لم آتِ إلى هنا بإرادتي!».

يبتسم...

– أعلم! أنا من جلبتك إلى هنا».

– «أنت! كيف؟».

– «سأخبرك لاحقًا!».

فجأة يسحبني من ذراعي، ويشرع في تحسس عنقي بيديه المقرفتين، وأنفاسه القذرة، ثم يبتلع ريقه بصعوبة قائلًا:

– «دماؤك تجعلني أشعر بالعطش».

يفلتني بعد تأمل مطول، ويعتلي عرشه مرددًا:

– «أعِدُّوا لنا مأدبة اليوم!».

تعالت هتافات الحاضرين معبرين عن فرحتهم قائلين: «المجد للملك!»، ثم يشير لإحدى حارساته.

– «خذيها واسجنيها ريثما يجهزون الآلة».

– «لحظة! عن أي مأدبة تتحدث؟».

– «تسمى مأدبة «حساء الدماء البشرية»».

– «دماء بشرية!».

– «أجل، إننا بالعادة نصطاد الحيوانات كي نطفئ ظمأنا، وأما في حال عثورنا على بشري، مثلك، أقيم مأدبة على شرفي لكافة سكان مملكتي.»

يشير إلى حارسته، «والآن خذيها من هنا!».

في لمح البصر وجدتني مقيدة، وقد وضعت عصابة على عيني كي لا أتمكن من التعرف إلى المكان، بعد لحظات، فُكَّت العصابة عن عيني، فوجدتني بمفردي في مكان مقرف، تغزوه طلاسم ورموز غريبة، لبرهة تجتاحني نوبة ارتعاش عجيبة، كأنني أصبت بالحمى، جلست إلى الزاوية محاوِلة لملمة أعضائي إلي، لعلي أشعر بالدفء، لكن دون جدوى، تنتابني قشعريرة غريبة عندما يرتد بصري إلى تلك الطلاسم، تتسع أحداقي، تردد شفتاي لا إراديًّا تلك الطلاسم، كنت أقرؤها، لا أعرف كيف كانت اللغة غريبة جدًّا، تتوهج الطلاسم، ثم

تتجمع مشكِّلة هالة تحيط بغبار أسود، يتحول في لمح البصر إلى كتلة ظلام، تتقدم نحوي، تلتحم بي، ثم تختفي، وتعود الحجرة إلى حالتها الطبيعية وكأن شيئًا لم يحدث.

يفتح الباب فجأة، إذا بها ذات السيدة التي أتت بي إلى هنا، تطوقني، تخرجني، وتصفق الباب خلفها، أخذنا نصعد الدرج إلى أن وصلنا إلى قاعة شاسعة، تملؤها كائنات ترتدي أردية حمراء موحدة، تتوسط القاعة آلة فضية غريبة، ضخمة، تشبه قبر الأشعة، بها حقن تفضي إلى أنابيب موصولة بصنابير صغيرة، تسكب السائل بصحون مقعرة، أما رأسها فصحن ضخم يمتد إلى الملك الذي يعتلي عرشه، وما أن يقع نظره علي يقول لي بنبرة مستفزة:

- «اقتربي، لا تخافي، فكل ما سيحدث هو تعليقك على هذه الآلة الجميلة، ثم أشرع أولًا في تذوق عنقك الرشيق، وبعدها سأعطي الإذن كي تنغرز بك الحقن التي ترينها، ثم أنت تعرفين ما سيحدث لاحقًا!».

ثم أشار لحارسين فاقتربا مني، انتشلاني من الأرض ليقوما بتثبيتي على الآلة، ثم أخذ الملك يتحسس غليان الدم في عنقي، وكشر عن أنيابه الحادة، لم أمتلك من الشجاعة ما يمكنني من رؤيتها تنغرز بعنقي، فأغمضت عيني، أحسست أنفاسه تداعب عنقي فتأكدت من قرب أجلي، لكنني سمعت فجأة نعيق الغربان يغزو المكان، ففتحت عيني فإذا به سرب من الغربان يجتاح المكان، لا أحد يعلم من أين وكيف أتوا؛ تنطفئ الأنوار، يتعالى نعيق الغربان الممتزج بفحيح الأفاعي، يفلتني، وددت استغلال الفرصة للفرار لكنني كنت عالقة،

تقلبت يمينًا فشمالًا لعلي أخلص نفسي، دون جدوى، ثم سمعت صوتًا تخنقه البحة ينبعث من داخلي، ويخاطبني:

- «لا تخافي، أنا هنا لإنقاذك».

يفك قيدي بسرعة، قائلًا:

- «هيا، اهربي ولا تلتفتي خلفك أبدًا!».

أذعنت له، وأخذت أركض في ذاك الظلام الدامس، الصوت يخاطبني من جديد.

- «اخفضي رأسك، الآن، انحدري يمينًا».

كنت ملتزمة بتعليماته من دون أي تعليق، من تراه يكون؟!

- «انتبهي، السلالم! هنالك إحدى عشرة درجة احذري أن تقعي».

نزلت السلالم؛ وكان هنالك إحدى عشرة درجة فعلًا! هذا الشخص يود مساعدتي حقًّا!

قلت:

- «والآن! من أين؟!».

- «الآن، اركضي إلى أن تصلي إلى آخر الممر، هناك ستجدين المخرج».

أخذت أركض بما أوتيت من قوة، فإذا به يكلمني من جديد.

- «أسرعي، لقد لحق بك، أسرعي، سيمسك بك».

حاولت أن أزيد من سرعتي، لكنني وقعت؛ لأن شيئًا حادًّا أصاب ساقي، طبعًا سيجرحني كي لا يفقد أثري.

يتبادر إلى مسامعي ذاك الصوت من جديد.

- «سيمسك بك، وقتي محدود، لا يمكنني أن أساعدك أكثر، اقرئي التعويذة بالمقلوب، ولا تسمحي له بأن يعضك، وإن فعل، تدعيه يلتف حول عنقك، فيثبط همتك، وعزيمتك بالخروج، فتبقين رهينة هنا، تجدين التعويذة مقابلة للصخرة الرخامية، والفيروز... الفيروز...

- «الفيروز! ما باله؟»

يختفي ذاك الصوت لأُجبر على مواصلة الرحلة بمفردي، واصلت الركض إلى أن بلغت الباب، فتحته ظنًّا مني أنه المخرج، دلفت وأصفقت الباب خلفي لأتفاجأ به ينتظرني، يتأملني بنظرات مستفزة، أخذت أتجول في المكان بأحداق متسعة، فإذا به ذات القبو الذي سجنت به، تنسدل من سقفه أفاع متفاوتة الحجم، مرعبة، تتساقط إحداهن على الباب وتلتف حول مقبضه لتحتجزني، لكن! أين سجنت نفسي! لكن ذاك الصوت قال بأن المخرج من هنا! علي أن أجد الصخرة الرخامية، لكن أولًا يجب علي أن أنهي هذا الوحش، أخذت أكلمه، مختلسة النظر إلى القبو بحثًا عن مرادي:

- «قلت لي: إنك من جلبتني إلى هنا».

- «صحيح، وبما أنك وصلت إلى النهاية، أفضل أن أتلذذ بدمائك وهي تغلي، لذا سأخبرك كيف وصلت إلى هنا».

بعد تأمل مطول وممحص وجدت الصخرة المنشودة، هذا يعني أن المخرج هنا.

يسترسل...

– «أعلم أنك لم ترغبي بالمشاركة، لهذا افتعلت المشاكل بينك وبين خطيبك، وتقفيت أثركما كي أتمكن من الحديث على لسانك في مواقف عدة!».

وأنا أقترب من الصخرة، سألته مستغربة:

– «تتكلم على لساني؟!».

– «أجل! يوم انفصالكما، وعندما قابلت وزير الآثار، كنت من يتحدث بدلًا عنك، أوهمت الجميع أنك ستلجئين للسحر لكي تستعيدي خطيبك.»

وصلت إلى الصخرة مذعورة، لكن ماذا عن الفيروز أين أجده؟!

يتقدم نحوي محملقًا فيّ بعيون تغمرها الرغبة، ويسترسل...

– «أتعلمين أنني من راسلك يومها؟!».

هنا أشرت له بسبابتي:

– «ماذا؟ ابق بعيدًا، إياك أن تقترب مني!».

ينفجر ضاحكًا، ثم يرتد بصري إلى خاتمي الذي يحوي حجر الفيروز، أضع يدي خلفي، ثم أحاول أن أحدث احتكاكًا بين الصخرة والخاتم، بينما يسترسل هو قائلًا:

– «لقد راسلتك على هيئة صديقتك يومها، لأقتنص فرصة تزورين بها حسابك، فأنقر على زر الاشتراك، وآتي بك إلى عالمي».

بعد الارتطام السابع للفيروز بالرخام، توهجت الطلاسم على الحائط المقابل، وبرزت لي تعويذة انطلقت في قراءتها عكسيًّا، متمتمة، فيثور:

– «لكن، ما الذي تفعلينه؟ لن تفلتي مني!».

ما كدت أنهي القراءة حتى هاجمني منقضًّا على عنقي، أحسست أنيابه الحادة تنغرز بي وتنخر عظامي، لم أعرف من أين جاءتني القوة لأكمل الحرفين الأخيرين بتلك الأنفاس المتقطعة، هنا تتوهج الطلاسم، تتحرك، تنتشر بالقبو، ثم تتحول إلى ألسنة نار تلتهم كل الأفاعي، ثم يُشق الحائط ويُفتح لي مخرج ينبع منه النور، تتجمع الطلاسم مشكِّلة هالة، فتحوطه قصد حرقه، يفلتني، ويتحول في لمح البصر إلى أفعى ضخمة، مروعة، سوداء الجلد، عيونها حمراء متوهجة، يتجاوز طولها سبعة أمتار، تتمدد كحاجز يحول بيني وبين المخرج، تتأملني بطريقة مخيفة، ثم تخاطبني بنبرة يغلب عليها الفحيح:

– «لن تنفذي مني! فإما أن تموتي! وإما أن تموتي! لك الاختيار».

كنت أتخبط في الحيرة والخوف، عندما تبادر لي ذاك الصوت من جديد:

– «لا تسمحي له بأن يلتف حول عنقك».

أصرخ كالمجنونة:

– «ماذا أفعل؟!».

– «أمامك حلان: إما أن تستسلمي وتظلي سجينة هنا إلى الأبد، وإما أن تنجو بنفسك، شريطة أن تتحولي إلى غراب، وأن تبقي كذلك ما تبقى من عمُرك.»

– «أتحول إلى غراب؟! لماذا؟!».

- «لأن عضته لها مفعول سحري يمس بطبيعتك البيولوجية».

أطرقت متأملة:

- «كيف أتحول إلى غراب؟».

- «مرري الفيروز على موضع العضة سبع مرات، أسرعي سألهي الحية قليلًا!».

لا أعلم ما الذي كان يفعله كي يمنع تلك الحية عني، كانت تتأملني من دون أن تقربني! أخذت أمرر الفيروز على عنقي، وكانت الأفعى تقترب مني شيئًا فشيئًا، ثم أخذت تلتف حول جسدي ببطء، وكأن شيئًا ما يثبط حركتها، وما كادت تبلغ عنقي حتى أنهيت التمريرات السبع، وتحولت إلى غراب، فأخذت أفقع عينيها بمنقاري، حتى أفقدتها البصر، أضللتها، جعلتها تتخبط عاجزة عن تحديد موقعي، ثم حلقت هاربة من ذاك المكان المرعب.

(تمت)

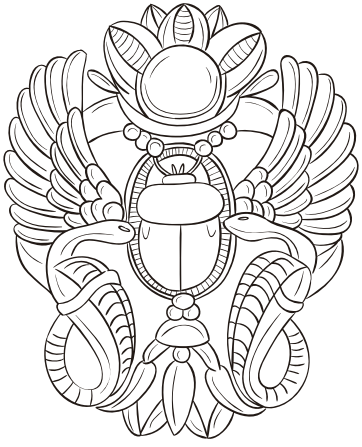

«صلاح الخطيب»

بقلم

محمود عبد العال

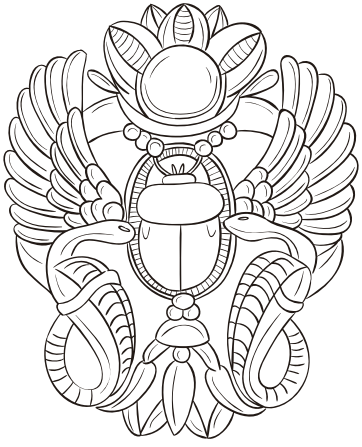

دوار عجيب، ذلك الذي أحاطني بألوان تتدرج من الأسود القاتم الذي كان يخيم على المقبرة، بينما نحن ماثلون أمام الساحر قبل أن يجذبني شيء ما إلى داخل البوابة التي ظهرت من العدم، ثم اختفت الألوان وبقي اللون الأسود، ولكن مع ضوء خافت أحدثته مشاعل معلقه على جدران غرفة أنام فيها على فراش ذهبي، ناظرًا إلى نافذة تقابل الفراش، تظهر منها الشمس كقرص رمادي أنهكته الغيوم السوداء، فكف عن إرسال الضوء.

نهضت من الفراش واقتربت من النافذة، جبال شاهقة سوداء اللون تعلو قممها ثلوج بيضاء، بدت شاذة وسط كل هذا السواد، نظرت خارج النافذة يمينًا فإذا ببرج مرتفع، يماثله آخر عن اليسار، أعرف هذا الطابع المعماري لأورُبا الشرقية؛ والذي قرأت عنه كثيرًا في كتبي التي تذخر بها مكتبتي العامرة، ليس بحكم عملي كمدرس أول للتاريخ بمدرسة المعارف بالإسكندرية فقط، بل لأنني من عشاق التاريخ، الذي يمثل الحياة لرجل مثلي لم يحالفه الحظ بالزواج، أو ربما حالفه الحظ ولم يتزوج، من يدري؟!

نظرت إلى نفسي، ملابسي تبدو غريبة بلونها الأحمر اللامع، تزينها أيقونات صفراء في المنتصف، ابتسمت أتخيل نفسي واقفًا بهذه

الثياب في أحد ميادين الإسكندرية، قبل لحظات من إلقاء القبض علي، وإيداعي إحدى المصحات العقلية، قبل أن تعلو ضحكاتي الساخرة، رأيت بابًا بجوار الفراش، أدرت مقبضه الذهبي ببطء، حتى فتحته على مصراعيه أتطلع خارجه، غددي اللعينة تصر على رفع دقات قلبي، وتحفيز خلاياي بزيادة ضخ «الإدرينالين» في دمي، خرجت لأجد نفسي في ممر طويل ينحرف يمينًا، كانت جدرانه تنتمي بشدة لطابع السواد الكئيب الذي يخيِّم على كل شيء في هذا المكان، الذي لا أدري ما هو، ولا أدري ماذا سأواجه في هذا التحدي الذي وعد به هذا الساحر اللعين، لا زال صوته يدوي في أذني عندما قال: «واجهوا أسوأ مخاوفكم»، أية مخاوف سيواجهها رجل مثلي؟!!، مرهف إلى حدّ الرقة، طيب إلى حدّ السذاجة على حسب قول زملائي، صفات من وجهة نظرهم تضعني في المرتبة الأدنى بينهم، هل ينتقص من إنسانيتي إذا رق قلبي لقطة صغيرة وحيدة في طرقات أغرقها المطر، أو أكون أقل رجولة لو سامحت من أساء إلي، فلسفتي اختصارها أن الحياة قصيرة وبسيطة، فلماذا نثقلها بتعقيدات نحن في غنى عنها، تُرى ما الذي ينتظرني في هذا المكان السوداوي الكئيب؟!

بعد عدة خطوات انحرفت يمينًا، لأجد غرفة ينبعث منها ضوء يبدو أكثر توهجًا من ضوء الممر، وسمعت رجلًا يتحدث قائلًا:

- «أخبرني «كولورادو» أن السلطان «محمد بن مراد» أرسل رسلًا لملاقاة الكونت «فلاد» للتفاوض على عقد هدنة، ولو نجحت هذه المفاوضات ربما يسمح لك سيدي الكونت بإجازة للزواج من حبيبتك «مارلين»».

تصادمت كلماته في ذهني محدِثةً دويًّا رهيبًا « فلاد»، «محمد بن مراد»، «هدنة»، وهذا القصر وشكل تلك الجبال...

رد عليه رجل آخر بما أكد شكوكي نحو ماهية المكان الذي أنا فيه قائلًا:

- «لا أظن أن سيدي «فلاد» سيرضى بالهدنة بعدما فرض سيطرته على «ولاشيا» بأكملها وأصبح يهدد مدن العثمانيين المجاورة.

«اللعنة على هذا الساحر، ما الذي فعله بي؟ لم يكن أسوأ مخاوفي أن ألتقي «فلاد الولاشي»؛ «دراكولا»، بل اللعنة على هذا الخبر الذي قرأته في تلك الجريدة مما أثار فضولي وداعب عشقي للحضارة الفرعونية، فقررت أن أخوض هذا التحدي، لقد ألقى بي الساحر في أكثر عصور أوربا ظلامًا وسوادًا، لأواجه الرجل الذي حِيكت من حياته أسطورة مصاص الدماء، لو يعلمون أنه أكثر بشاعةً من الأسطورة، فلربما تنتهي قصتي معلقًا على أحد خوازيقه، اللعنة على الخوازيق.

كنت أهم بالعودة إلى الغرفة، إلا أن أحد الرجلين خرج فجأة، أصابني الجمود للحظات متوقعًا أن يستل سيفه ويسألني قبل أن يغمد السيف في قلبي: «ما الذي أخرجك من غرفتك؟» لعلها تكون نهاية أشرف وأقل بشاعة من مراقبة الصقور من فوق الخازوق، ولكن كل تخيلاتي تسربت أدراج الرياح عندما انتبهت لنبرة الاحترام في صوته:

- «سيدي الكونت «فلاد»؟

ثم انحنى راكعًا في خشوع ورهبة، بينما خرج الرجل الآخر على إثره، وانحنى هو الآخر، استرقْتُ النظر من فوق كتفي متوقعًا أن أرى

هذا السفاح خلفي، ولكن لا أحد في الممر غيرنا، إذن فعلها الساحر الملعون؛ وأنا هو «دراكولا»؟

فجأة تداخلت الألوان مرة أخرى لأرى نفسي طفلًا صغيرًا في قصر أبيض الجدران أجلس في حديقة من الزهور، وبجواري أخي «رادو»، و«محمد» ابن السلطان العثماني «مراد»، نجلس أمام رجل أشيب يقرأ القرآن ونحن نردد خلفه، كان «رادو» و«محمد» يتمايلان مع القراءة بينما أشعر بالملل، وأتمنى أن ينتهي هذا الأمر سريعًا، كان وجودي مع أخي في رعاية السلطان مراد بموجب اتفاق مع أبي « فلاد الثاني» حاكم «ولاشيا»، تعبيرًا منه عن الولاء للعثمانيين.

مرة أخرى تتداخل الألوان لأرى أنني أصبحت شابًّا ماثلًا أمام «السلطان مراد»، بينما يوصيني بالسمع والطاعة، ويذكرني بأنه ساعدني لاستعادة عرش «ولاشيا» بعد مقتل أبي وأخي الأكبر، كان ابنه « محمد» جالسًا عن يمينه.

شعور ينمو بداخلي كسرطان يكبر وينتشر بالكراهية لهذا الشاب، رغم أنني كنت أعتبره من أفضل قادة التاريخ، كنت أشعر أنني قد وُضعت في دور سألعبه شئتُ أم أبيت، ولكن لا يزال بداخلي رفض لهذا الشر الذي ينمو مع كل كلمة تُكتب في عقلي من ذكريات«فلاد»، وتمحو معها ذكرياتي الشخصية، ومشاعره التي تحل بداخلي، بدلًا من مشاعري، في صراع متأجج بين نقيضين، وخصمين أزليين هما الخير الخالص المتمثل في شخصي والشر المستطير المتمثل في «فلاد».

قررت عند هذه اللحظة أن أغيّر الأحداث، وأجعل من «فلاد» رجلًا مخلصًا للدولة العثمانية، فأقسمت للسلطان بالسمع والطاعة،

ونصرة الخلافة العثمانية بروحي ودمي، شعرت بعدها بأنني سأنجح في إظهار الجانب الطيب في «دراكولا»، تمهيدًا لتغيير تاريخي بأكمله. ثلاث سنوات قضيتها أميرًا على «ولاشيا» بولاء كامل للعثمانيين، مات خلالها السلطان «مراد»، وجلس على عرشه «محمد» الذي كان يكرهني بشدة.

مرة أخرى حِيكت المؤامرات على عرش «ولاشيا»، عندما اتحد «فلاديسلاف» مع إمبراطور المجر، واستولى على عرشي، رفض حينها «محمد» معاونتي، خاصة بعد أن احتل «القسطنطينية»، وأصبح اسمه يهز جدران قصور ملوك أورُبا، كان رفضه لمعاونتي هو آخر مسمار دُق في نعش أُخوتنا التي نشأت في قصر أبيه، وكان أيضًا آخر مقاومة لشخصي الطيب أمام سطوة وجبروت «فلاد»، والآن أنا أجلس على عرش «ولاشيا» بمعاونة إمبراطور المجر نفسه وبدعم من الكنيسة.

كانت الأحوال الداخلية في «ولاشيا» مُهترئة، ضَجت البلاد بالجرائم وانعدمت التجارة، فضلًا عن الخطر العثماني، كان حكم هذه البلاد لا يحتاج إلى أمير بقدر ما يحتاج إلى وحش، وقد كنتُ أنا «فلاد المخوْزِق».

عاد المشهد إلى ردهة القصر بينما يركع أمامي الجنديان، فانصرفت عنهما إلى القاعة الكبرى، للقاء رسل السلطان، كانوا يرتجفون هلعًا، إذ إنني أمرت بأن يكون طريقهم إلى القصر مارًّا بساحة الإعدام، التي تظللها خوازيق تحمل بقايا من أمرت بإعدامهم، ذلك الطريق الذي يبدأ بالراهب المعلق مع حماره على خازوق واحد، ثم خمسمائة شاب من أسر عريقة، أدمنوا العبث والمجون ورفضوا

الانضمام إلى جيش «ولاشيا»، واللصوص الذين كنت أُطبِّق عليهم ما تعلمته من المسلمين؛ إذ إنني كنت آمر بتعليقهم على الخوازيق بعد قطع أيديهم، ثم النساء اللاتي كنت أقطع أثداءهن وأخيط بدلًا منها رءوس أطفالهن، ثم يعلقون على الخوازيق، كان التعذيب بالوضع على الخازوق حيًّا هو طريقتي المبتكرة، الجنود يدهنون الخازوق الخشبي المدبب بالدهن، ثم يخلعون ثياب المحكوم عليه، ويضعونه على الخازوق حيًّا، وتكمن متعتي في أن أرى الألم وأسمع الصراخ أثناء انزلاق المحكوم عليه للأسفل بينما تتمزق أحشاؤه، ثم أتركه معلقًا على الخازوق حتى تُجهِز عليه ضواري الطيور.

دخلت القاعة فوقف جميع رجالي، ولم يقف رسل السلطان، فأسررتها في نفسي وجلست على عرشي، نهض أحدهم واقترب مني قائلًا:

- «لقد أتينا برسالة من السلطان «محمد الفاتح»، سلطان الأرض».

كانت كلماته تحوي صلفًا وتكبرًا أثار حفيظتي، فلم أرد، واكتفيت بأن أشرت له بإصبعي السبابة إشارة بمعنى «هاتِ ما عندك»، ففتح رسالة كانت في يده وأخذ يقرأ...

«من السلطان «محمد خان الفاتح» إلى «فلاد الثالث» أمير «ولاشيا»؛ الذي عاث في الأرض فسادًا، وارتكب الفظائع في حق قومه وحق رعايا الدولة العلية، وقد بلغنا أنك ترجو الهدنة، فلك ما تريد، ولكن بعد أن ترفع يدك عن البلدان المجاورة، والتي تحالف حكامها مع الدولة العلية، فصارت من رعايانا، وأيضًا نضاعف الجزية

السنوية عقابًا لك على ما جنته يداك.. هذا وأنت تعلم حجم جيوشنا، وأننا قادرون على تطهير «ولاشيا» منك، بل وتطهير أورُبا بأكملها».

كانت الرسالة تحتوي على تعالٍ واستهانة بقوتي أمام رجالي، وهو ما لن أسمح به أبدًا، ثم إنها تنهك خزائن البلاد بنفقاتٍ إضافية، وهي التي أوشكت على النفاد بسبب الحروب، فقررت رفض ما جاء فيها، وأمرتهم بإبلاغ سلطانهم بهذا، فلما هموا بالانصراف أمرتهم برفع عمائمهم كعادتنا في احترام الملوك، فأَبَوْا!!، كنت لا أزال أجد في نفسي حنقًا من عدم قيامهم لي عندما دخلت القاعة، ثم إهانة سلطانهم لي أمام رجالي في رسالته، ولكني فجأة وبدون مقدمات وجدت في نفسي تسامحًا طغى على مشاعري، في لحظة غفلة من «فلاد» الذي كان يفكر كيف يرد الإهانة، فسبقته بردي قائلًا:

- «سأفكر في الأمر وأرد على السلطان».

فاستداروا مغادرين، وفجأة، استعاد «فلاد» زمام الأمور، فوجدتني أصرخ فيهم مرة أخرى ليرفعوا عمائمهم، فتوقفوا وأخذوا ينظرون لبعضهم البعض في تعجب من تناقضي!!، ثم قال كبيرهم:

- «نحن لا نرفع العمامة إلا أمام السلطان المعظم»، حينها وصلتُ لقمة الغضب، فناديت الحرس وأمرتهم أن يثبتوا لهم عمائمهم بمسامير تدق في عظم رءوسهم، ثم يُعلَّقوا على خوازيق بين الجبلين اللذين سيمر من خلالهما جيش العثمانيين، ولكني تركت أصغرهم ليحمل رَدِّي للسلطان، ويخبره بما رأى حتى يدب الرعب في قلوب جنودهم.

كان مستشاري يرغب في عقد الهدنة، ويرى أنه لا قِبل لنا بمواجهة العثمانيين، فعدد جنودهم عشرات أضعاف جنودنا، وكان

على حق بالفعل، شعرت بالورطة التي وضعني هذا الـ «فلاد» فيها، إذ إننا على أبواب حرب غير متكافئة بالمرة، فقلت بندم: «ولكن بعد قتل رسل السلطان لم يعد هناك سبيل للرجوع»، فجأة وبغير مقدمات تولى «فلاد» زمام الأمور، فارتفع صوتي صارخًا لمستشاري:

- «كيف تجرؤ على مخالفة رأيي؟».

كان الغضب يعصف بي، خاصة أنه عارضني أمام رجالي، فصرخت في الحرس وأمرتهم بتعليقه على خازوق أمام باب القصر، وأمعنت في الأمر فوقفت أشاهد إعدامه، بل ووقفت بين الجنود صارخًا:

- «هذا جزاء من تسول له نفسه مخالفة رأيي».

ولكن غطى على صوتي صراخ زوجته التي ظهرت من خلف الحشود تحمل صغيرها، وركعت عند قدمي طالبة أن تكون ميتة زوجها الذي وضع على الخازوق بالفعل ميتة سريعة، صرخت طالبة الرحمة لزوجها الذي أفنى حياته في خدمتي.

اختفى «فلاد» للحظات نظرت فيها له ولألمه، ثم نظرت إلى الصغير الذي تحمله المرأة الباكية، كان المشهد بشعًا، فهدأ الحشد للحظات ظنًّا منهم أنني سآمر بقتل المستشار لينال ميتة سريعة، ولكن عاد «فلاد» اللعين مرة أخرى بفكرة أكثر بشاعة من أي شيء قرأته في تاريخ الجرائم عبر العصور، وجدتني أصرخ قائلًا:

- «إذن فأنت تريدينني أن أرحم زوجك؟»، فأومأت برأسها راجية وقد توقفت عن البكاء، فقلت:

- «ولكن لكل شيء ثمنه»، فاعتدلت واقفة وهي تمسح دموعها بيد وتحمل طفلها بالأخرى ثم قالت:

– «أنا رهن إشارتك يا سيدي فيما تأمر»، درت حولها وعلى وجهي ابتسامة شرسة، وقلت:

– «ميتة سريعة لزوجك مقابل حياة طفلك، وبيدك أنت» تعالت همهمات الاستنكار والتأوه بين الحشود التي اجتمعت كعادتها لمشاهدة الإعدام، إلى أن قطعت الهمهمات صرخة من المرأة تسبني فيها، فأمرت بتعليقها وصغيرها على خازوقين آخرين بجوار زوجها.

بعد أن انصرفت الحشود، دخلت إلى غرفتي وأفرغت ما في معدتي التي كانت تصرخ من هول ما حدث منذ قليل، وبأمري أنا، صاحب القلب الطيب، الذي لا يقدر على إيذاء قِط، وبصوتي أنا الذي لطالما صدح يعلم التاريخ لتلاميذي بالمدرسة، فأخذت أدق رأسي بالحائط حتى نزفت الدماء، التي ما إن جرت على الحائط، حتى عاد «فلاد»، فأخذت أنظر للدماء بنهم، واقتربت، وحركت لساني على الحائط، لاعقًا الدماء، قبل أن تلمع عيناي وتعلو أنفاسي، وأشعر بلذة تغزو جسدي بأكمله لم أشعر بها من قبل، خرجت بعدها من الغرفة وتوجهت إلى ساحة القصر التي تعج بالخوازيق، ووقفت أمام جثة مستشاري، واقتربت وحركت لساني على الخشب لاعقا الدماء اللزجة، لتجتاحني النشوة مرة أخرى، ثم نظرت لزوجته التي لا زالت حية تصارع الموت، ولعقت الدماء من على الخازوق، وشعرت بنشوة تختلف عن شعوري مع دماء زوجها، ثم اقتربت من الخازوق الذي عُلِّق عليه الطفل، فكانت دماؤه ألذ من دماء والديه، كان إحساسي يفوق الوصف بأن طاقة وقوة تسري في عروقي كالحمم.

بدأت بعدها آمر رجالي بإحضار المساجين لي في غرفتي، كنت أقطع أوردتهم العنقية، ثم أقوم بشرب الدماء التي كانت تكفيني عن الطعام، وفهمت معها بأن مذاق الدماء وتأثيرها يختلف من شخص لآخر، وكلما كانت الدماء لشاب أو طفل صغير كانت أفضل، ثم أصبحت أستبدل السكين بعضة في عنق المسجون، كانت الدماء تتدفق معها بسرعة أقل مما يمنحني متعة أكثر.

ومع الوقت استطالت أنيابي بصورة غريبة، كانت شخصيتي قد اختفت تمامًا، وسيطر ذلك الفزع الذي يمشي على قدمين على كل شيء، قوتي تزداد بسرعة رهيبة، حتى إنني استطعت أن أحمل أحد جنودي بإصبعي السبابة وألقيت به من النافذة ليسقط على أحد الخوازيق فيخترق بطنه، لمجرد تأخره في إحضار السجين.

ولم يقتصر الأمر على القوة فقط، بل إن حواسي أصبحت أقوى بمئات المرات، حتى أصبحت أسمع دبيب النمل خارج باب غرفتي، وأرى ما يفعله الناس على بعد أميال وأنا أقف في نافذتي ليلًا، وفقط ليلًا، إذ إنني ومع هذه القوة، أصبحت لا أتحمل ضوء الشمس، ربما لمرض نقله أحد المساجين إلي عندما شربت دماءه.

كان السلطان «محمد» قد أنهى بعض فتوحاته، فقاد جيشًا قوامه عشرون ألف جندي ليهاجم «ولاشيا» التي كان كل من فيها من جنود لا يصل عددهم إلى أربعة آلاف جندي، ومع انتشار الخبر بين الناس خيم عليهم الخوف من المصير المحتوم، وهو الموت تحت أقدام العثمانيين، فأصبحوا يتهامسون بأنني السبب فيما ستئول إليه «ولاشيا» من دمار، وبدأ الأمن الداخلي في التزعزع، وزاد الأمر سوءًا

مع أول قذيفة من مدافع العثمانيين على أسوار المدينة، فصرخت في الجنود أن يجعلوا الناس يأوون إلى بيوتهم، كنت أعلم أن قوتي الآن تعادل قوة مائة رجل، فأمرت الجنود بفتح الأبواب والتراجع للخلف، وبمجرد أن فُتح الباب، اقتحمه عشرات الجنود العثمانيين، الذين فوجئوا بي الكونت «فلاد» يقف أمامهم وحده دون جنود، بينما تتابعت باقي فرق الجيش التي كانت تقترب ببطء من الباب في تشكيل من تلك التي يتميز بها الجيش العثماني، ولكن كانت المفاجأة عندما رأوا ما تبقى من جنودهم يعودون أدراجهم هاربين وعلى وجوههم الفزع، بينما تتناثر أشلاء من لم يستطع الفرار من أمامي، كأنهم حوصروا في آلة لفرم اللحم، كان هذا المشهد كفيلًا ببث الرعب في قلوب الجنود العثمانيين، فولوا هاربين، ولم أُضَيِّع الفرصة في تذوق دماء فلول الجيش الهارب أمامي، حتى ابتعد عن أسوار المدينة، ولكن شهوة القتل كانت قد تملكتني، فتبعتهم مسافة ميلين حتى ابتعدت عن جنودي ومدينتي، لأكتشف أنه كان كمينًا، وأنني أقف الآن أمام جيش يغطي الأفق من جنود العثمانيين، ويقودهم السلطان «محمد» بنفسه، التفوا حولي لأجد نفسي محاصرًا بينهم، وعشرات الرماح الخشبية موجهة إلى صدري وظهري، والسلطان «محمد» يهتف بنبرة انتصار:

– «كنت أعلم أنك قد تحولت إلى وحش، وجزاء الوحوش في شرع السلطان «محمد الفاتح» هو القتل، ثم أشار بيده لتنهال الرماح على جسدي من كل حدب وصوب، لتنزف جروحي بغزارة حتى انهارت قواي، ثم أظلم كل شيء...

فجأة وجدت الضوء يداعب حدقتي، فاعتدلت جالسًا لأجدني في تابوت، ويقف أمامي شاب عشريني يرتدي سروالًا وقميصا ويحمل بيده كتابًا يقرأ منه بعض التعاويذ، وخلفه آخرون يشبهونه في الهيئة، وما أن رأوني جالسًا حتى بُهتوا جميعًا، إلى أن اقترب حامل الكتاب مني قائلًا في خضوع:

– «سيدي الكونت «دراكولا»، أنا من سعى لإيقاظك؛ «إيان بروكينوف» خادمك المطيع».

(تمت)

الزواج المحرم

«معاذ الأحمدي»

بقلم

معاذ الأحمدي

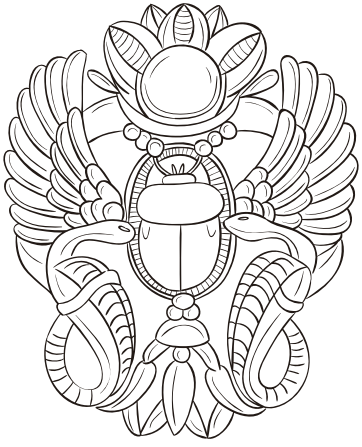

- «نسل الكاهن «ريموتابي»؟» ما الذي قصده ذلك الشخص الغامض؟ ثم أين أنا؟! أأنا بحلم أم بعلم؟!».

أرض ريفية شاسعة، أمامي منزل يدعوني للدخول، أتقدم صارخًا لأهل البيت لعل هناك من يجيبني، لم يجب أحد، التفت خلفي، فكان كل ما أراه أرض قاحلة لا نهاية لها.

لا خيار ثان، دفعت الباب للدخول...

- «أنا داخل، إذا كان هناك أحد بالداخل فليجب!».

رائحة زكية بالمنزل، وكأن أحدًا قام برش عطر به منذ قليل، فهذه ليست رائحة منزل مهجور...

التفت يمينًا إلى المطبخ، لا أمر مريب به، كنت سأقول: إن المطبخ نظيف جدًّا لولا تُرِك البراد على غاز الطبخ، آآآه ساخن! ماذا ساخن؟ وكأن أحدهم سخنه منذ قليل!!

ما هذه الورقة على الثلاجة؟

- «عزيزي خرجنا من المنزل ولن نعود، انتبه لنفسك!».

«لن نعود»؟ ما هذه الرسالة الغريبة؟ يا رباه أين أنا؟! صعدت الدَّرَج أتفقد الطابق الثاني، أربع غرف، يبدو أنها عائلة كبيرة، مثل المطبخ، الغرف كلها نظيفة ومرتبة...

نـباح كلب؟! هناك كلب ينبح بالخارج؟

ركضت إلى الأسفل، فأنا متأكد أنه في بداية قدومي لم يكن أي أثر لأي كائن حي، ألقيت نظرة من نافذة المنزل، كلب مقيد أمام المنزل!

خرجت وكلي استعداد لهجوم الكلب...

- «أنت كلب لطيف، اهدأ».

نباحه مزعج، لم يتوقف عن النباح علي، لدي خبرة في عالم الكلاب، هذا كلب حراسة وينـبح لأنني دخلت المنزل، أي أن هذا الكلب يحرس المنزل، وهذا يعني احتمالين؛ إما أن صاحب المنزل أتى وربط الكلب هنا وذهب، أو أنني بطريقة ما لم ألحظ الكلب عند دخولي!!

رجعت إلى الداخل غير مبالٍ بنباح الكلب المخيف، أبحث من جديد بين مقتنيات البيت، لفـتت انتباهي صورة لعـائلة، عـائلة مكونة من ثلاثة أطفال وأم وعجوز مقعَدة، كل هؤلاء الأشخاص لا ملامح لهم!! إلا الزوج، ذلك الزوج الذي أُقْسِم أنه انعكاس لصـورتي.

لم أمضِ الكثير هنا وأكاد أفقد عقلي، البراد الساخن، الرسالة الغريبة، الكلب، ثم هذه الصورة!

جلست على أحد الأَسِرَّة داخل إحدى الغرف أرتاح قليلًا، أحاول لملمة أشتاتي ومعرفة ما الذي يجري، لـكن للنوم رأي آخر...

«تك» «تك» «تك»...

أصوات الطرق المزعجة، أيقظتني من نومي، من الذي يطرق بالمنزل المهجور؟! أم أن ساكنيه المجانين قد عادوا؟

نهضت من السرير، شعرت باهتزاز في الأرض يصحبه تسرب للدماء من الجدران، النوافذ والأبواب تفتح وتغلق من تلقاء نفسها.

كدت أنهار من هول المشهد حتى توقف كل شيء فجأة، اختفت الدماء، انتهى الاهتزاز، عمت السكينة المكان.

أمامي همست:

- «أهلًا أبي».

فتاة صغيرة بشعر أصفر طويل ولا ملامح لها! لا أنف ولا فم، لا شيء.

- «مَن... مَن أنتِ؟».

- «أخبرتني أمي ألا أعود إلى المنزل؛ لأن أمور سيئة ستحصل لك إن عدت، لكني لم أصدقها، اشتقت إليك أبي».

- «ابتعدي عني، ابتعدي».

- «أنا ابنتك المدللة يا أبي».

- «أنت لست بابنتي، توقفي، توقفي وابتعدي عني».

- «أنتَ... أنتَ شرير».

أنا حتى لا أعلم من أين يخرج هذا الصوت رغم أنه لا فم لها، ركضتْ مسرعةً إلى الخارج يصدر منها صوت البكـاء، بعد أقل من دقيقة لحقتها لرؤية إلى أين ذهبت.

اختفت!

بهذه البساطة، بحثت بأرجاء المنزل وخارجه، تركتها لأقل من دقيقة واختفت، الكلب أمام المنزل نائم.

رجعت للمنزل، الجو بارد، أغلقت جميع النوافذ، أشعلت الفوانيس فلا كهرباء هنا، جلست مجددًا بإحدى الغرف وإلى جانبي فأس، فالاحتياط واجب.

اهتز المنزل من جديد، تسربت الدماء من الجدران، فتحت الأبواب والنوافذ، علـمت أن تلك الشيطانة قد عادت!

صراخها من الطابق السفلي...

- «أبي، أبي أين أنتَ؟».

أغلقت باب الغرفة وأوصدْتُه بخزانة الملابس الموجودة..

- «أبي أحضرت لك هدية..».

صراخها يقترب شيئًا فشيئًا، خطواتها أصبحت تتذبذب في أذني، رغم أنني واثق أن كائنًا صغيرًا مثلها لن يكون قادرًا على فتح باب الغرفة الموصد بخزانة الملابس.

- «أبي افتح الباب».

- «الباب موصد لا يمكنني الخروج ولا يمكنك الدخول».

- «لم أقصد باب الغرفة».

- «ماذا؟!».

- «افتح باب الخزانة!».

بالفعل صوتها صادر من خزانة الملابس، تراجعت إلى النافذة، ألقيت بناظري خارجها، لأجد بالأسفل الكلـب ينبـح كأنه يحذرني من عدم القفز خارجًا.

بين الكلب والشيطان أنا محاصر! الخزانة تهتز معلِنة عن اقتراب فتحها، حملت فأسي مستعدًّا لقطع أي كائن ما سيظهر أمامي.

أخرجت يدها من الخزانة، تريد الخروج، فرصتي كانت، دفعتُ الخزانة لتسقط على الأرض، وانطلقت خارج الغرفة.

ترجلت أسفل الدرج، العرق يتساقط مني، قبل أن أخرج من المنزل، لاحظت بالمطبخ عائلة كاملة، امرأة وطفلان وعجوز على كرسي مُدَوْلب، لا ملامح لهم!

توجهت المرأة إلى الثلاجة، نزعت الورقة ورمتها، مرددة:

- «آسفة لم نكن ننوي العودة، لكن ابنتك هي من أصرت على ذلك».

قاطعت حديثنا الفتاةُ من أعلى الدرج، لتكمل كلام أمها.

- «لأن عودتنا تعني موتك».

لم أستطع التركيز، من أين أتى الكلب، لا أدري، قفز بكل سرعة محاولًا فصل يدي عن جسدي، أصارعه يَمنة ويسرة، بينما أسمع ضحكاتهم التي لا أدري من أين تصدر وهم لا أفواه لهم.

- «لا تقتله يا «رود»، تذكره إنه أبي، ولا أحد مخول له قتل أبي إلا أنا!».

استطعت دفعه برجلي وإبعاده، اندفعت خارج المنزل والكلب ورائي في الحقل الريفي تتخبط رجلي بظهري والكلب يكاد يصل إلي..

كأنه لا نهاية للحقل، ذلك الساحر الذي نقلني إلى هذا البعد المخيف يحاول التلاعب بعقلي، وأظن أنه نجح.

لم أتوقف عن الركض، ومن شدة خوفي لم أتجرأ على النظر خلفي، لكن شيئًا فشيئًا أحسستُ أن الكلب توقف عن لحاقي، لم أعد أشعر بخطواته وحماسه.

خلفي نظرت، رأيت الكلب على بعد مسافة واقفًا، لماذا لم يلحقني؟

رَجعت ناظري للأمام، قبو؟! هناك قبو أمامي، قبو في مكـانٍ خالٍ كهذا؟ أهذه أرض العجـائب أم ماذا؟!

لا خيار آخر غير تفقد الكهف ورؤية أسراره، من المستحيل أن يكون ما بداخله مخيفًا أكثر مما رأيت...

بخـطوات ثابتة أنزل الدرج.

- «مَن...؟ مَن أنت؟ أرجوك أنا لم أفعل شيئًا، لا تقتلني».

أنرت بالـفلاش الخاص بهاتفي ووجهته نحو مصدر الصوت، يلتحف الأرض محتضنًا نفسه، رجل هزيل، علامات الخوف تسيطر عليه.

- «لـن أقتلك! أنت كيف جئت إلى هنا؟ لم أظن أن هناك بشرًا مثلي هنا!».

- «أنت تـكذب! كلكم تكذبـون».

- «أقسم لك، أنا لست منهم، أنا ضحية مثلك ويمكنني مساعدتك».

- «حقًّا؟».

- «بـكل تأكيد، أخبرني فقط كيف أتيت إلى هذا البعد العجيب؟».

«أنا أعـيش هنا».

- «ماذا؟ وكيف حصل كل هذا؟ أخبرني بكل التفاصيل».

- «قبل عامين تحديدًا، كانت هذه الأرضة القاحلةُ أرضًا زراعية، أعيش سعيدًا وحيدًا بمزرعتي في مدينة المرج شرق ليبيا، حتى دقت ساعة الشؤم!».

- «وماذا حدث؟».

- «طرقة واحدة على باب منزلي، فتحتُ الباب، فكان شخص طويل يرتدي عباءة، ردد جملة واحدة لا غير «أرضك اخترت لتكون ضمن لعنة الفراعنة»، لم أفهم ما قصد، فما أن فركت عيني حتى اختفى دون أي أثر، بعدها أتت تلك العائلة، كلها لا ملامح لها باستثناء الزوج، هاجموني، عذبوني، تلذذوا بمعاناتي.

- «أتتذكر كيف يبدو ذلك الزوج؟».

- «دعني استجمع مظهره قليلًا.

انتظرته قليلًا يفكر، ثم وقف يرتعش مرددًا:

- «لا، لا، لا، هذا أنت؟!».

هاجمني وبيده سكين حاول طعني.

- «توقف يا أحمق تكاد تقتلني».

- «ألا يكفي أنكم أخفيتم العالم عني، ألا يكفي أنكم سيطرتم على منزلي وأرضي أصبحت قاحلة!».

- «أنا لست منهم يا مغفل».

- «تذكرت ملامحك يا لعين، أنت الزوج!».

- «أنا لست من تلك العائلة، لا أعلم كيف ذلك الزوج يشبهني، لكن أقسم لك أنني لست هو».

- «لـن أصدقك.»

يحـاول طعني، وأنا أتجنبه، هزيمته لن تـأخذ مني وقتًا فلا طاقة له، لكمة واحدة مني أسقطته أرضًا، حملت السكين واقتربت من عـنقه.

- أترى، بإمكاني قـتلك الآن لـكن لن أفعل».

- «أنت حقًّا لسـت منهم».

- «نعم أنا كذلـ...».

لم أكمل جملتي حتى نزلت يدي على عنقه كالخـروف أقطع أوصاله، يصـرخ والدموع تتساقط منه بينما لم تتوقف يدي عن الذبـح! لقد، قتلته!

- «أحسنت يا أبي، استطعت الوصول إليه وتـخليصنا منه».

كـانت تلك الفتاة عديمة الملامح، واقفة أعلى الدرج تـنتظرني..

- «يمكنك الرجوع إلى المنزل مجـددًا يا أبي، فقد عدت لـرشدك أخيرًا».

- «أنا لم أقصد قتله، ماذا فعلتِ بي؟!».

- «لم أفعل شيئًا، أنت بكامل قواك العقلية قمت بفعلتك، لـن تتخلص من طبيعتك».

- «هذه ليسـت طبيعتي».

- «نـحن ننتظرك بالمنزل، لا تتأخر أبي».

تتقافز كالأرنب راجعة من حيث أتت، ناظري كله نحو ضحيتي التي لا أعلم كيف تجرأت وقتلتها.

- «أنا آسف، أنا حقًّا آسف يا سيدي».

حـملت جثته لدفنه، هذا أقل ما أستطيع فعله، فإكرام الميت دفنه، رفعته لتسقط منه تلك الـورقة، حملتها لأقرأ ما بها:

«إن قرأتم هذه الرسالة فعلى الأرجح قد نُقلتم بطريقة ما إلى هذه الأرض المـلعونة، أشياء جنونية تحدث هنا، تلك العائلة الشيطانية تسيطر على المكان، أكتب لكم رسالتي هذه بعد عام ونصف من الـبحث عن حلٍّ لهذا اللغز، إن أردتم النجاة احفروا حيث ينام الكلب، هناك دفن المشعوذ سحره، أنا جبان، ولن أستطيع القيام بذلك، فهل أنتم مثلي؟».

قتـلته قبل أن يخبرني بما عرف، علم أنه سيموت فدوَّن ما بباله في ورقة، إذن ذلك الـسحر مدفون أمام المنزل، أمامي الآن هزيمة الكلـب وحفر الأرض، طبـعًا هذه الأمور تأتي بعد التخـلص من العائلة الشـيطانية...

حملت نفسي إلى المنـزل، إن لم تهزمهم كـن معهم، أو على الأقل مؤقتًا هههه».

الكـلب يـنبح، لحسـن الحظ أنه مقيد، فُتِح باب المنـزل.

- «أبي لـقد أتيت، هذا جميل، ادخل».

- «نعم، لقد عدت».

- «ادخل».

- «والكلب؟».

- «رود» توقف».

بكـلمة واحدة، تـوقف الكلب، دخلت المنزل، ولا أخفي عليكم، لـم أشعر بالرعب في حياتي مثل ذلك اليوم.

– «ماما أبي عاد..».

– «أهلًا عزيزي، أخبرتني «سارة» أنك قتلت ذلك الرجل، أتعلم أنه هرب منا منذ وقت طويل...».

إذن ابنتي المشاكسة تدعى «سارة» يا حبيبي، لزمت الصمت ولم أنطق بحرف..

– «تحدث! لا تقلق بما أنك قتلت، فنحن لن نقتلك، أنت قدمت قربانًا لأبي».

– «أبيك؟».

– «نعم، هو ليس هنا الآن، سافر برحلة عمل ولكنه سيرجع يومًا ما».

– «اجلس، أعددت من أجلك «محشي»، أعرف أنك تحبه».

« محشي»! فعلًا هي وجبتي المفضلة، كيف علمت ذلك؟! أيُعقل أن تكون هذه عائلتي فعلًا؟!».

بطني تنكمش والمقاومة فشلت، أكلت بشراهة، ولفت انتباهي أن لا أحد منهم تحرك، ألا يأكلون؟!

– «لماذا لا تأكلون؟».

– «أهم شيء أن تأكل أنت يا حبيبي، لا تقلق بشأننا».

أمر مريب صحيح هههه جالس مع عائلة لا ملامح لها، أتحدث معهم بانسجام، وأنا لا أعرف حتى كيف يصدرون هذه الأصوات...

أتى موعد النوم، ذهبت الشياطين الصغيرة إلى غرف نومها، وقامت الزوجة اللعينة بنقل الجدة لغرفتها.

ثم نادتني من الطـابق العلوي.

– «مـاذا يا «معاذ»؟ ألن تأتي؟ إنني أنتظرك فلتسرع!».

توقعتها نامت، لا خيار لي إلا أن أذهب إليها.

تتوالى الصدمات بالسقوط علي، امرأة جميلة الملامح بثياب مثيرة تنتظرني على السرير..

– «اشتقت لك يا حـبيبي».

لم أستطع التـحكم بنفسي، أتقدم كالخاضع إليها، ازداد منسوب العرق في التساقط، اقتربت منها لآخذ قـبلة الحـب، ركـزت ولملمت فتات عقلي لأجدها هي عديمة الملامح تجذبني لحضنها!!

– «لا، لا، لا، توقفي».

– «ماذا هناك يا عزيزي؟!».

– «لا أريد فعل هذا الآن».

– «ما السبب؟».

– «أنت تعلمين أنني خضت تجربة خطيرة اليوم وقمت بقـتل إنسي، وهو أمر لست معتادًا عليه، لذلك أحتاج إلى الراحة».

– «معك الحق، لحسـن الحظ أنك قتلته».

– «لماذا؟».

– «أخبرتك سابقًا وسأعيد، أبي أخبرنا أن نترك المنزل حين تأتي، لينفرد بك ويقتلك».

– «ألم تقولي: إن أباك سافر؟!».

– «نعم وإذا أراد العودة يستطيع في أي وقت».

- «رأسي حقًّا يؤلمني».

- «ارتح واذهب للنـوم الآن».

بـمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة، سمعت صرير خربشات على باب الغرفة.

- «ما الذي يحدث؟؟ ما هذه الخربشات؟».

- «لا تقلق يـا «معاذ»، «سارة» ستتكفل بالأمر، «سارة»... «سارة»».

- «تتكفل بماذا؟».

- «انتظر».

- «من خلف الـباب؟ أسمع «سارة» تتحدث».

- «ألم أخبرك أن تختفي من هنا؟ أتريد أن أعذبك مجددًا؟!..».

عويل كـلب يتألم من شدة الضرب والخنق، يخفت صوته مما تفعله «سارة» به، حتى سكت نهائيًّا.

سألت الـزوجة..

- «أسارة» قتلت الكلب؟».

- «لا، هذا كلب آخر، قتلناه في أول مرة أتينا فيها إلى هذا المنزل ولا تزال روحه تأتي إلى هنا».

نـامت الزوجـة، عقلي شارد بعلاقتي بهذه العائلة، متى تزوجت أنثى الشيطان النـائمة إلى جانبي.

استيقظت بعـد ساعة من الـنوم غـير المريح، فمن المسـتحيل أن ترتاح وأنت نائم بجـانب شيطان، إلا إن كـنت تحب ذلك الشيـطان، تغط في نوم عميق.

تـحركت بهدوء إلى خارج الـمنزل، متسللًا كالـلص من الدرَج إلى الأسفل...

- «إلى أين أنتَ ذاهب في هذا الوقت يا أبي؟».

- «»سارة»؟ أريد... أريد أن أشعل سيجارة، نعم أريد أن أشعل سيجارة».

- «حسنًا ولكن احذر أن تفكر بشيء سيء، لا أريد أن أراك ميتًا يا أبي الحبيب».

«سارة» هي معنى الرعـب الحقيقي وهي تجسده أتم التجسيد.

وقفت أمام المنزل، الكلب نائم ومقيد، أسفله مفتاح نجاتي!

تفاديت العائلة، الآن دور الكـلب، خـارج المنـزل وعلى يساري تحديدًا لمحت تلك الفأس المخصصة لـقطع الخـشب، ضربة واحـدة دون أي صراخ وسينتهي كل هذا الصراع، لن يحصل على فرصة لإبراز صوته، قـتلت إنسيًّا، فلا بأس بقـتل حيوان الآن.

حـملت الفأس وأصبح الكـلب النائم بين أرجلي، تـأكدت ألا أحد يشاهدني، رفعت الفـأس وأنزلته في نفس اللحظة بأقصى سرعة لأفصل الرأس عن الجسد وتتناثر الدمـاء على ملابسي..

أزحت الجـثة، جـلست أحفر بيدي الأرض الطينية ولم تشكل بـالنسبة لي مشكلة في حفرها.

- «أبي أخبرتك ألا تفعل شيئًا سيِّئًا».

كـانت «سارة» المتـحدثة واقفة وبجانبها العائلة الكـريمة كـاملة.

- «فـات الأوان يـا شياطين».

أدخلت يدي بالـحفرة لاستخراج مـا دُفِن؛ كيس به خليـط من الأشياء المقززة؛ «فتات جمجمة، دماء متصلبة، حشرة محنطة»، وأشياء أخرى أستحيي من ذكرها.

ما إن حملت الكـيس، حتى بدأ الصـراخ من جـانب العائلة، انتصرت، أقترب منهم بالكـيس في يدي، وهم يتراجعون.

دخلت المطبخ وتركتهم يتعذبون، على غاز الطهي وضعت الخليط وتركته يُشوى، تبخر الخـليط لتتـبخر العـائلة المجنـونة معه! وأخيرًا ارتحت.

لم يتبق إلا أن أخرج من هذا الـبعد، ذهبت لـلغرفة لأكمل نومي، والـصباح رباح.

أيقظتني خـربشات وكـأن شخصًا ما بالخـارج، أحسست بذلك، نهضت للتـحقق.

ترجلت من سريري إلى الخـارج لأتحقق.

- «مَن، مَن أنتَ؟!».

كـان شخصًا ضخمًا يرتدي عباءة فضفاضة، يدفن بنفس الحـفرة كيسًا كالكيس السـابق، لم يجب عن تساؤلاتي، أشاح بنظره نحوي ولم ألمح إلا عينيه، ثم نطق.

- «لا تترك عائلتك مرة ثانية!».

اختفى بعد ترديده لـتلك الجمل.

- «أهلًا أبي، هل اشتقت إلينا؟».

خـلفي تقف «سارة» وعـائلتها، أكملت «سارة» حـديثها:

- «إياك أن تفكر بالاقتراب من الـحفرة، هذه الـمرة أنا لا أمزح».

لم أتجرأ بعد ما قالت على الاقتراب من الحفرة، لكن لرجليّ كلام ثان، ركضت مبتعدًا، مباشرة من نـفس الطـريق التي هربتُ منها مسبقًا.

وصـلت للقبو، دخـلته والخوف يسيطر علي، سأموت هنا، لـن أخرج أبدًا.

مرت أيام وأنا مختبئ داخل القبو، ها أنا أكتب لكم قصتي هذه حتى تـعلموا ما حدث معي، وأن الـسحر موجود وشره بلغ أقصى الحـدود.

مر شهر، بين الآن والآخر تأتي «سارة» تعطيني بعض الطعام والشراب وتذهب، أكاد أفقد عقلي، لم أعد أحتمل البقاء بهذا القبو...

بينما أكتب لكم هذه الكلمات أنا أتجه للمنزل لحسم الأمر..

- «»ماما» أبي أتى».

- «أريد الانضمام إليكم!».

تـحدثت الزوجة:

- «أخيرًا قلتها يا عزيزي».

بعد قولي لـتلك الجملة، اهتزت الصـورة التي تجمعني مع العـائلة الشيطانية، اقتربت منها فما حصل شدني لمعرفة سبب الاهتزاز، ركزت في الصورة.

حينها رأيت نفسي بالـصورة بدون ملامح، تلمست وجهي فلم أجد أنفي، ولا عينيّ، ولا حتى فمي!! أنا بدون ملامح.

- «مرحـبًا بك في العائلة».

(تمت)

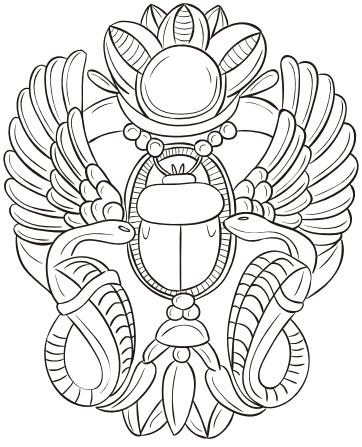

الموشوم

«*MR. X*

بقلم

إبراهيم وهبي

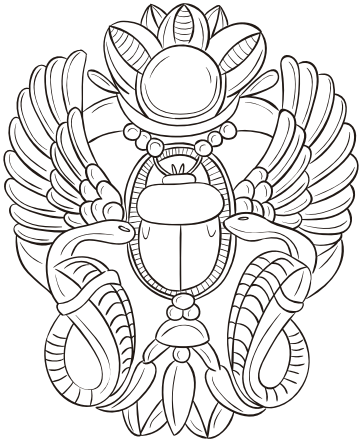

لم يتبقَّ سوى أربعتنا، أرى الذعر في عيون الجميع، احتمالية أن يختار الضوء أحدًا منهم أصبحت أكبر، وقد أيقنوا أن أي سبيل للهروب قد أصبح مستحيلًا، فقد حاولوا كثيرًا وباءت كل محاولاتهم بالفشل، ودائمًا في تلك المرحلة يتحول الإنسي من طور المقاومة إلى طور الاستسلام، ولا أكذبكم القول أني قد سئمت بقائي مع هؤلاء الحمقى، كنت قلقًا متوترًا، فقد أصبحت مهددًا في أي لحظة بأن يتسبب عرقي الذي يسيل بغزارة من كل مكان بجسدي - خاصة من منابت شعري- في التأثير في قناعي الذي يواري حقيقتي، وإن حدث هذا قبل أن أدخل الكهف سيرتابون بي، وربما كشفوا أمري.

في تلك اللحظة كان الجميع في حالة من الهلع، فيما عدا أنا، فقد كنت محضرًا نفسي على الخوض في هذه المغامرة، بسبب ذلك الحلم الذي راودني في نفس الليلة التي تم فيها قبولي في المجموعة، لم يكن حلمًا، بل كان رؤيا، رأيت فيها ما أنا بصدده، وأعددت خطواتي، وخطتي، لن يكون الحظ وحده هو حليفي، بل الكثير من تدريبات التأمل والتي أستطيع من خلالها بمجرد التركيز فقط على هدفي، فتنصاع البيئة من حولي لإرادتي، وصل الضوء إليّ أخيرًا، فتنهدت تنهيدة ارتياح، والمكان من حولي يتغير لأجد نفسي بداخل

كهف حجري تنبعث منه الرائحةُ العتيدة التي تدل على حياة الحكماء القدامى، هنا أريد أن أخبركم عني بسر، ويجب أن تكونوا أمناء عليه حتى لا تودوا بأنفسكم إلى التهلكة، وسأخبركم بهذا السر حتى تكونوا قادرين على فك ألغاز قصتي الغامضة:

أنا أحد أكبر القيادات بالمحافل الماسونية، وقد أخذت على نفسي عهدًا أن أصل إلى الحكمة القديمة المندثرة، والتي تم تأسيس الماسونية من أجل الوصول لها، فمنذ آلاف السنين كان هناك تقدم تقني أكبر من الموجود الآن بمراحل عدة، وكما تقول المعلومات التي اشتقنا لجمعها، إن أسرار الحكمة موجودة بالفعل، ولها خريطة على شكل هرم من ثلاثة أجزاء، و هذا الهرم موجود بأحد الكهوف القديمة، أملك من القدرة على التركيز والتأمل، وصفاء الذهن؛ ما يجعلني أطوع هذا التحدي لصالحي، وبالقليل من الجهد يمكنني التحكم في الوجهة التي سينقلني هذا الضوء إليها...

الآن أنا داخل كهف كما رأيت نفسي تمامًا في تلك الرؤيا، الرائحة كريهة ربما تصيبك بالغثيان إن وصلتْ لمجاري أنفك، ولكن ماذا تكون تلك الرائحة بالنسبة للروائح التي تنتج عن الطقوس التي أقوم بها، المكان مظلم خانق، به طاقة غريبة تشعرك بعدم الارتياح، ولكن بالنسبة لي كل هذا اعتياديًّا، بل وأقل من الاعتيادي، امتدت يدي لنزع قناعي المصنوع بمهارة منقطعة النظير كي يبدو وجهي كأنني شخص آخر، لم يكن نزعه صعبًا؛ فقد تكفل العرق بإضعاف قوته اللاصقة، كنت على حقٍّ في قلقي، كان على وشك السقوط فعلًا.

ربما يعتبرني البعض مجنونًا لأصدق حلمي الغريب، بل وأسعى لتحقيقه، ولكن الفرصة لا تأتي كل يوم على طبق من ذهب

كهذه الفرصة، لا بد أن أجده، لقد وصلت إلى هنا ولن أخرج إلا وهو في يدي، أو أموت دونه.

شعرت بثقل صدري، وأن هناك من يحوم حولي، فابتسمت وأنا أردد بصوت عالٍ:

- «أنا «دوغناف» ابتعدوا وإلا جعلتكم تندمون»، سمعت همهماتهم تدق في أذني، فصرخت:

- «أفسحوا لي الطريق».

لم أتفاجأ بطاعتهم وابتعادهم عن طريقي، لا بد أنهم سيُعلِمون سيدهم بما حدث، لذا يجب أن أنتهي من مهمتي قبل أن ينتبه لوجودي، توجهت لفوري إلى غرفة الأسرار، أعلم كم الرصد الذي يحميها، وأعلم كم سألاقي من صعوبات لدخولها، ولكن جميع معلوماتي تقول: إن ما أريده موجود بداخلها، وقفت بضع لحظات أمام الغرفة، وبدأت في إطلاق الكلمات:

- «يعفراك نكروك بعلوال بحق نورهالوسنترام، فلتأتوا وتقيدوهم إلى أن أحضر بمبتغاي سكلاف برهن نورمنهال احضر بحق تعاليم نتان».

سمعت تأوهات الرصد بأذني، فابتسمت ابتسامة متشفية، ودخلت غرفه الأسرار، الغرفة مليئة بالهياكل العظمية التي تجعل الفزع هو حليفك الوحيد، ولا يستطيع جسدك سوى أن يرتجف، وربما تشتم رائحة «إدرينالين» خوفك بأنفك، غير الهياكل العظمية هناك مومياء عظيمة داخل تابوت أعظم، بجانبها حفر يتعدى عمقها مئات الأمتار لأسفل، وبالطبع داخل تلك الحفر موتى تحولوا إلى هياكل عظمية،

عددهم أكثر بكثير من الهياكل التي أراها الآن، رائحة التعفن والمورفين تملأ المكان، ورغم كل ما فعلته وما مررت به أشعر بأني على وشك الاختناق، لا بد أن أجد بغيتي سريعًا، تحسست خطاي، وأنا أخشى أن أتعثر في إحدى الفجوات، وكلما سرتُ بضع خطوات أتحسس الأرض بيدي لعلي أجد ما أبحث عنه، ولكن في كل مرة تصطدم يدي بشيء يجعل قلبي ينتفض، مرة وجدت نفسي أمسك بعضو رخو مليء بالدماء، وأخرى أجد نفسي أمسك بحيوان غريب مدمم أيضًا، وأخرى أجد نفسي أمام وجه قد تآكل نصفه، وأخرى عثرت على إناء به أوصال ممزقة لموتي، وأشياء كثيرة جعلتني ألهث وأختنق وأتمنى أن أجد بغيتي سريعًا لأهرب من هذا المكان؛ الذي يضاعف داخلي الشعور بالخوف والريبة لأول مرة بحياتي، أكثر من نصف الساعة قضيتها في بحث دءوب، لا أجد ما أبحث عنه، جثوت على ركبتي، وأحطت رأسي بيدي، وأردت أن أصرخ... أين هو؟ وفجأة ومض هاجس مخيف في عقلي المكدود، لقد بحثت بكل مكان بالغرفة، وفاتني ذلك التابوت حاوي المومياء، يا إلهي هل من الممكن أن يكون داخل التابوت؟

ماذا سأفعل؟ إنه تابوته هو؟ كيف لم أفكر يومًا أن يكون دُفن معه؟! يا للهول! كيف سأفتح التابوت على من تخشاه؛ العوالم الثلاثة؟! الأمر أضحى مستحيلاً، أسمع وقع أقدام تتقدم تجاه غرفة الأسرار، لا بد أنه الكاهن بعد أن أخبره جنوده بوجودي هاهنا، لا وقت للتفكير، سأفتح التابوت وأحصل ما جئت من أجله، ولو كلفني هذا حياتي، هذه الفرصة المعجزة لن تتكرر في حياتي مرة أخرى، وقع الأقدام يقترب، وجسدي يتزلزل رعشة، سأطلب مددًا، سأحتاجهم بالطبع، ولكن هل ما يزال عندي وقت؟

سأردد العزائم سريعاً:

- «دونهتبركشرعنيان الدون الدونالدون، البقرة البقرة البقرة، الدقيقة الدقيقة الدقيقة، احضروا بحق ونهكمي وبمها وملوك الهناي غ..».

أخذت أرددها وأنفاسي تتلاحق، وأصوات ضرب الأقدام على الأرض تقترب،كنت قد أنهيت ترديد العزائم، عندما وجدتهم أمامي بانتظار إشارتي، ألقيت أوامري بصرامة بأن يفتحوا التابوت، بينما وقفت على مقربة من الباب أصارع الوقت، صوت الأقدام يزداد اقترابًا، فجأة ومض ضوء أخضر بالغرفة تسبب لي بعمى مؤقت من شدة توهجه:

- «اللعنة! من أين أتى هذا الضوء؟! لا أكاد أرى أي شيء!!».

غير قادر على التفكير، الضوء يزداد توهجًا، أشعر بالغثيان، أشعر بالمشهد من حولي، وقد أصبح ضبابيًّا، دوار شديد يلف رأسي، المشهد أصبح أكثر ضبابًا،ثم أدركت مصدر الضوء، لقد كان ينبعث من التابوت عندما فتحه أتباعي، الدوار يزداد، المشهد يختفي تِباعًا من حولي إلى أن أظلم كل شيء.

أفقت لأجد نفسي داخل حجرة ممتلئة بقوالب الذهب، والعديد من التماثيل من الذهب أيضًا، عيون تلك التماثيل من الزمرد الأحمر اللامع، فتبدو كما أنها شياطين على قيد الحياة، يا إلهي أيعقل هذا؟ هذا المكان كما روي عنه تمامًا ، ولكن كيف وصلت إلى هنا؟

«أعوانك دائمًا يحققون لك ما تتمناه، ألم أقل لك: إننا خير منهم؟! فَنِيَ من جنودي العديد، ولكن ما كنا لنتركك».

سمعت هذا الصوت يدق في أذني، وقدرت بسهولة على تمييزه، إنه «رنيبات» صديقي في الأخوية، ونائبي في رئاسة محفل «فيينا الماسوني».

ابتسمت له وأنا أدير رأسي له، فبادلني نفس الابتسامة، وهو يقول:

– «هيا سريعًا فلنحضر ما جئنا من أجله فربما استيقظوا».

فتشت بنظري سريعًا بالغرفة، كان ما أريده مكوَّن من ثلاثة أجزاء، وجدت أولهم بسهولة ويسر، وكان الجزء الأوسط، فتشت بنظري مرة أخرى، ولكن لم ألحظ الجزأين المتبقيين، «سأبحث في جانب، وأنت في جانب يا «رنيبات»، لننجز عملنا قبل أن يستيقظوا».

قلتها لصديقي ونائبي وأنا أتوجه للجانب الأيسر من الغرفة، وبالفعل كنت أحثه على أن يبحث بالجهة اليمنى، كان هناك بالجهة اليسرى ثلاثة من الصناديق بالإضافة إلى ألواح الذهب المتناثرة بالأرضية، وبعض التماثيل المسندة على الحائط بظهرها، فتحت الصناديق تِباعًا، فوجدت في أحدها صولجانًا لامعًا، فتشت أسفله، لا أجد شيئًا، أغلقت الصندوق وذهبت لآخر كان به العديد من الأوراق مكتوبًا عليها بلغة غير مفهومة بالنسبة لي، ورغم أني أتقن جميع اللغات القديمة والميتة، لم أقدر على تمييز اللغة التي كُتبت بها تلك المخطوطات، ولكن ما أثار حفيظتي وجعل أوصالي تتصلب، وجسدي يتزلزل، ليس فقط اللون الأحمر الذي يشبه الدم المكتوب على المخطوطات، وليس أيضًا رائحة الدماء التي تفوح من الصندوق، وليس أن الحبر لم يجف بعد، ولكن ما جعلني في تلك الحالة، هو أن

الكتابات كانت تتحرك كل بضع ثوان لتُكَوِّن كلمات جديدة أو شكلًا جديدًا، أغلقت الصندوق سريعًا بعد أن أمعنت النظر به، ثم ذهبت للصندوق الأخير، ودقات قلبي أسمعها كدوي طبول حرب، إذن؛ فتحت الصندوق الأخير بحذر وما أن انفرجت فتحة صغيرة تجعلني أرى ما بداخله حتى وجدت شيئًا يقفز في وجهي، وتعثرت لأسقط على الأرضية، وما أن وقع بصري على الصندوق، إلا وتمنيت لأول مرة في حياتي أن أكون في كابوس، وأفيق منه، فقد خرج من الصندوق أعداد كبيرة من الخنافس ذات اللون الأحمر القاني، وأخذت تتفرَّق في جميع أنحاء الغرفة، نظر صديقي مشدوهًا برعب، قائلًا بصوت مرتعد خافت «جعران»، ثم أشار إليّ قائلًا بصوت مرتفع قلق خائف، وهو يسرع تجاه فجوة بجدار قريبًا منه:

- «لقد وجدت قطعة أخرى، لا بد أن القطعة الأخيرة في جهتك، حاول الحصول عليها سريعًا والهروب، فهذا النوع من الجعران سام للغاية». انتفض جسدي عقب استماعي لجملته الأخيرة، ونهضت سريعًا أبحث عن القطعة المفقودة بنظري، وأنا أحث عقلي على التفكير.

«أين عساها تكون؟» بالطبع هي ليست بالصناديق، والجدار جهتي ليس به فجوات لتكون داخلها، ربما تكون داخل تمثال من التماثيل الثلاثة المتصافين، تقدمت سريعًا تجاه أولهم بخطى حذرة، كان مغلقًا ليس به فجوات، وبنظرة سريعة علِمت أن الاثنين الآخرين مثله، «أين عساها تكون؟» لم يهدني عقلي إلى أي شيء، وكاد أن يتملكني اليأس، هناك مجموعة من الخنافس تتقدم نحوي، يا إلهي، لا يجب

أن أدعها تتمكن مني، عدت بضع خطوات للخلف متحاشيًا تلك الكائنات البغيضة لأصطدم بأحد التماثيل وأتعثر به لأسقط بالأرض، وقفت سريعًا وأنا أستند على أحد التماثيل، ولكن يبدو أن التمثال كان خفيفًا أو مفرَّغًا، فلم يتحملني ليسقط فوق كتفي، نهضت سريعًا وأنا أحمله، وفي منتصف الطريق لاحظت وجود فجوات بالجدار بالمكان الذي كان يستند عليه التمثال، لاح لي شعاع أمل أن أجد داخلها الجزء المفقود، فأسجيت التمثال على بطنه، وأخذت أبحث داخل الفجوات وأنا أتتبع أثر الخنافس، وأحاول أن أجعلها لا تنال مني، لم أجد شيئًا بالفجوات، جاء لرأسي هاجس: «أنه لا بد أن التمثالين الآخرين يوجد خلفهما فجوات ربما أجد بإحداها الجزء المتبقي.

وضعت يدي على التمثال الثاني وأنا أحاول أن أسجيه بجانب رفيقه، عندها وجدت يدًا تعاونني، إنها يد صديقي ونائبي، وقد أتى إلى جهتي بعد أن عثر على الجزء الثاني، أسجينا التمثال متحاشين الحشرات السامة، ثم بحثت سريعًا داخل الفجوات، وما هي إلا ثوانٍ وصرختُ قائلًا:

- «لقد وجدته أخيرًا، سينتقل العلم مِمَّن لا يستحق إلى مَن يستحق».

أجابتني صرخة من صديقي فنظرت جهته برعب لأجد أحد التماثيل يجثو فوقه وقد دبت فيه الحياة، لا أعلم كيف حدث هذا.

- «خذ هذه واهرب لقد أفاقوا، اهرب، اهرب واتركني أواجه مصيري».

قالها وهو يعطيني الجزء الذي كان معه، فأخذته منه وأنا أقول:

- «سأحررك منهم، أو أواجه مصيري معك».

صرخ صديقي في الوقت الذي وجدت فيه شيئًا يجثو على ظهري:

- «لديك هدف أسمى، لا بد أن تحققه، علم الأخوة لا بد أن يكون في يد من يستحق، فأنت تعلم ما سيحدث إن وصل لمن لا يستحق».

كان في داخلي تساؤلات كثيرة أود أن أسأله إياها، كيف استطاع محاربة الملك وجنوده؟!

كيف تحصَّل على المفتاح من داخل التابوت؟! كيف وصل بي إلى هنا؟!

كيف علم بوجودي في هذا المكان؟! وكيف استطاع دخوله؟!

ولكن يبدو أنني لن أتوصل إلى إجابة أبدًا، جمعت كل ما أمتلك من قوة، وأنا أضع الأجزاء في جيب سترتي، ثم أشحتُ التمثال بكل ما أمتلك من قوة، وأنا أنظر حولي محاولًا إيجاد الطريق الصحيح للخروج من هذا الكهف اللعين، وصرخات صديقي وأنَّاته أسمعها كسكاكين تغرز في قلبي، التمثال يجثو فوقه والخنافس تكاد تغطي جسده، أشار بآخر رمق في جسده إلى أحد الممرات بيسار الغرفة قائلًا:

- «مِن هذا الطريق، سر في خط مستقيم، وسوف تجد المخرج».

هرولت بكل ما أمتلك من قوة، تتبعني التماثيل المتوحشة، وكلما ألقيت نظرة خلفي أراهم يقتربون وصوت صرخات صديقي تبتعد، ألهث بتعب وصدري يكاد يتمزق من قلة الهواء، ولكن إن توقفت لا بد أنهم سينالون مني، للمرة الأولى أعاني في الهروب من

مكان، فقد نسيت أن أخبركم أنني بطل العالم في العَدْو، وقد وُضع اسمي بموسوعة «جينيس» كأسرع إنسان بالعصر الحالي، ورغم كل هذا لا أستطيع الهروب منهم، فسرعتهم توازي سرعتي تقريبًا، أشعر برئتيّ على وشك الانفجار، وسرعتي تتباطأ، أحاول التحامل على نفسي ولكن إلى متى؟ أتحامل وأتحامل...

أخيرًا لاح شعاع نور، لقد اقتربت، أحاول ألا أستسلم، ولكن أدرَكوني على بعد مسافات قليلة من باب الكهف.

يحاولون إعادتي إلى داخل الكهف، أقاوم بآخر رمق، أين قوة الوشم؟ لا بد أنها موجودة، ولكن يبدو أنهم أقوياء للغاية، مرت دقائق عشر، مقاومة مستميتة من جانبي، وعدم يأس وإصرار من جانبهم، مرت عليَّ كدهر كامل إلى أن استطعت أخيرًا إخراج جسدي من باب الكهف، ولكن قدمي حشرت، يا لحظي السيئ، نظرت للنور وحفزت نفسي وبكل ما أمتلك من قوة زحفت نحو الخارج، وما أن خرج كامل جسدي من الكهف حتى تلاشت قوتهم، بل وتلاشوا هم أيضًا، حاولت تنظيم أنفاسي اللاهثة، وأنا أنظر للكهف وأضع يدي على جيبي الذي به القطع الثلاث، وأطلقت ابتسامة وأنا أهمس:

- «لا بد أن يكون العِلم في يد من يستحق».

وجدت بضعًا من الشباب والفتيات ينظرون لي بتعجب بضع ثوان، وتذكرت أنهم من سبقوني، اقترب مني أحدهم وهو يقول ببلاهة:

- «من أنت؟ لم أرك من قبل؟».

ابتسمت له وأنا أقول:

- «أنا الموشوم».

قهقهت بانتصار وأنا أتركهم يتبادلون النظرات المذهولة وأغادر ذلك المكان بلا عودة.

(تمت)

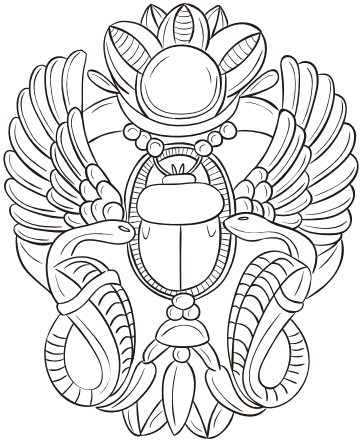

انتصار الحفيد

«هشام الجبايلة»

بقلم

مروة المأذون

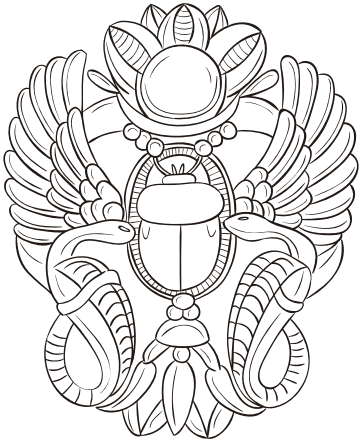

كان الظلام حالكًا، كنت لا أكاد أرى يدي، حتى ابتلعت ريقي بصعوبة بالغة، قلبي كان خائفًا ربما، ولكن إحساسي بأني مررت بهذا الموقف من قبل هو ما كان يخيفني أكثر، خاصة وأني أتوقع ما سيحدث، أجل قلت لنفسي:

«الآن سيظهر ضوء خافت»، وقد حدث بالفعل ظهر لي ضوء من بعيد، لم أُحرك ساكنًا، وامتلأت عيني بالدموع، فأنا أعرف ما سيحدث لي كلما اقترب الضوء، دقات قلبي تزداد كلما اقترب أكثر، لم أعد أجد ريقًا لأبتلعه، جف حلقي، وتمنيت ولو شربة ماء واحدة، والعرق يتقطر مني بكثرة؛ حتى أصبح ما بيني وبين الضوء مجرد سنتيمترات حينما رأيتها، كانت بكامل حُلَّتها التي أحبها بها حينما ترتديها، ذلك الفستان الأزرق الطويل بلون السماء الصافية، ليس به شيء سوى تلك الورود البيضاء المرسومة بدقة فوق كتفيها اللذين ينسدل عليهما شعرها الطويل أسود اللون، كسواد ليلي الطويل الذي أسهره مفكرًا فيها، تبسمت لي لتخطف قلبي بابتسامتها كعادتها، ولكن عقلي كان يحدثني بأن كل مرة تظهر لي بهذه الحُلة كل ليلة في حلمي لتأكل روحي بعدها ويمزقني الألم، وحينما مدت يدها إليّ تلقائيًّا رفعت يدي متلهفًا، كم تمنيت لو تلامس أصابعها كف يدي مرةً أُخرى

لتروي قلبي العطش لحُبها، ولكن عقلي كان يصرخ: لا تفعل، لا تذكر نهاية حلمك كل ليلة، ثم تغيَّر الصوت الذي أسمعه في عقلي لصوت لم أسمعه من قبل، ولكني شعرت وكأني أعرفه حق المعرفة، صوت عالٍ جعل يدي تنخفض وترجع للوراء، وأنا أتلو طلاسم يُمليها عليّ الصوت، وحينها تحولت عينا حبيبتي إلى الأحمر وكأنهما شعاعان من نار، دمعت عيناي؛ لأني أعرف النهاية جيدًا؛ تلك النهاية التي توجعني كل ليلة أراها فيها في ذلك الحلم، أو بالأحرى الكابوس، وفي نهايته تقتلني وأموت على يديها، ولكن النهاية اختلفت فجأة عما توقعت، فقد بَعُدَتْ عني وتغيرت ملامحها لتظهر ملامح ذاك الساحر المخيف الذي رأيته قبل دخولي في الممر الخاص بي، وكأن الطلسم الذي تلوته كان يقتلها هي، أو بالأحرى يقتله هو؛ أي الساحر ذا الأفاعي.

وفجأة زاد وهج النور الخافت حتى لم أعد أرى الساحر المتجسد في جسد حبيبتي، ثم سمعت صرخته العالية المدوية وشعرت وكأني تم قذفي لمكان آخر، وسقطت أرضًا أشعر بألم مبرح في ظهري، حاولت النهوض، ولكن لم أستطع، وحينما نظرت إلى قدمي وجدت امرأتين قصيرتين تلبسان الأسود؛ جلباب كالذي ترتديه جدتي كزي رسمي لكبار السن في قريتنا بسوهاج، ولكنَّ وجهيهما مغطَّيَان بوشاح أسود خفيف، تظهر بعض ملامح وجهيهما الدميمة من تحته، كل واحدة تُمسك بقدم بكل قوتها وهي تهتز وتتلو كلمات غير مفهومة، يداي كانتا متحررتين دون فائدة، فهل سأستطيع إزاحتهما عني؟

ارتجف جسدي عندما علا صوتهما، وازدادت هزات جسديهما، نظرت حولي لأجد صحراء جرداء في عتمة ليلها، يضيئها فقط قمر في

تمامه، تذكرت جيدًا الطلاسم التي حفظتها عن ظهر قلب، تذكرت جيدًا ما تعلمته، وبنفسي دون معلم يتضح لي كل شيء، كل ما حاولت نسيانه حينما كنت في التاسعة من عمري، لا أنسى كيف كان الجميع يخافون عائلتي، ولا يحبون التواجد بقربهم حتى، وفي مدرسة القرية كان الأولاد الصغار يهربون بعيدًا ويقولون:

- «هذا هشام بن الجبايلة، عائلته ملعونة، تستخدم الأعمال والسحر».

لم أكن أفهم حينها لماذا يقولون ذلك؟ حتى ذهبت إلى جدتي لأسألها، كانت في بيتنا القديم المبني من الطين اللبن، لم أكن أحبه، ولم أعش فيه سوى ثلاث سنوات عمري الأولى، ولا أتذكرها، كانت تجلس في الغرفة «الجوانية» يسمونها هكذا؛ لوجودها داخل غرفة أخرى لها باب أيضًا بعيدًا عن مدخل البيت، وجدتها تقف وتعطيني ظهرها.

ناديت: «جدتي».

ولم تجب، كانت تهتز أيضًا مثل هاتين السيدتين، وصوتها خافت، وتتلو كلمات عجيبة، لم أخف وكيف أخاف؟ تلك جدتي التي أحبها.

ناديت مرةً أُخرى: «جدتي هذا أنا هشام» لا أعرف لماذا شعرت بعدها بقشعريرة تسري في جسدي، شعرت بخوف غريب لم أشعر به مرة أُخرى سوى في ذلك اليوم فقط.

اقتربت منها وناديتها مرة ثالثة، فتوقفت عن تلاوة ما كانت تتلوه وعن اهتزازها، وفجأة التفتت إليّ، كدت أصرخ من هول ما رأيت،

لم تكن جدتي، كانت ملامح مخيفة، عينان حمراوان، ووجه أسود، وأنياب عجيبة، وأنف مدبب، انحبس صوتي وعدت للخلف.

ولكني سمعتها بصوت غير صوتها تقول: توقف، ولا تَخَف بعد اليوم، حينما يأتي يوم التحدي كن قويًّا وواجه مخاوفك وتغلب عليها، وأولها ذلك الوجه الذي يشبه العفاريت التي يخيفك بها زملاؤك في المدرسة، تغلب على كل مخاوفك من الآن وصاعدًا، لا تَخَف شيئًا. وبعدها عادت ملامح جدتي كما كانت، تبسمت ابتسامتها التي أعشقها فخففت من الرعب الذي اجتاحني، اقتربت مني وربتت على كتفي، ثم قالت:

- «لا تَخَف من شيء بعد الآن، سأجيبك قبل أن تسأل، نحن لسنا بعائلة عادية، نحن نسل من ساحر عظيم، توارثنا هذا السر جيلًا بعد جيل».

ثم مدت يدها لتُمسك بكتاب خلفها كان فوق المنضدة القديمة، ناولتني إياه، ثم استكملت حديثها، ولكنها قالت جملة واحدة: - «هذا هو السر».

ولكنها لم تستطع أن تُكمل حرفًا واحدًا بعدها؛ لأنها ماتت، أجل، لقد شهدت موت جدتي العزيزة وحدي وأنا طفل في التاسعة، شهقت وانحبس نفسها، ولم تستطع أن تخرج زفيرًا واحدًا، بعدها نظرت إليّ، وعيناها تدمعان، وهي تشد على يدي التي وضعت فيها الكتاب وكأنها توصيني به، ثم فاضت روحها، لم يصدق أحد مدى قوتي كطفل وتحمُّلي لهذه الصدمة، مذ حينها وأنا لا أخاف شيئًا، ثم علا صوتي وأنا أحدثه...

- «أنا لا أخاف شيئًا، أتسمعني أيها اللعين؟ أنا لا أخافك، حينها انكشف الوشاحان من على وجه المرأتين اللتين تشلان حركتي، وجهان دميمان تمامًا كالوجه الذي رأيت به جدتي، وربما أكثر قُبحًا، احمرت عيون المرأتين، واقتربتا مني، وقد فتحت كل واحدة منهما فمها عن آخره، وظهرت أنياب طويلة كأنياب الحيوانات كانت تنوي التهامي، ولكني استجمعت قواي، وضربت بخوفي عُرض الحائط، وأنا أتذكر طلاسم الكتاب التي تعلمتها وحفظتها جيدًا، وقبل أن أُكمل عامي الثالث عشر، وحينما بدأت أتلوها بصوت عالٍ بدأت المرأتان تعودان للخلف، وتزمجران زمجرة عالية كالقطط المتوحشة، بخوف شديد شعرت بأني أهزمهما، وبأنني قريبًا سأتخلص من كل ما أنا فيه، تلك اللعنة، هذا الممر، وكل شيء؛ لأعود لبيتي منتصرًا، ولكن لم يحدث ذلك فقد سمعت صوته الملعون عاليًا يقول لي:

- «هل تعتقد أن بعض طلاسم جدك ستنقذك؟! هل تعتقد أنه حقًّا عظيم كما يقولون لك عنه؟! إنه أضعف مني، وظنّ أنه قد انتصر مثلك تمامًا، كما تظن نفسك منتصرًا الآن، حتى تركته يفرح بانتصاره، ثم قطعته إربًا، أنت نسل ضعيف تمامًا مثل جدك».

تصلبتُ في مكاني، وتوقفت عن ترديد طلسم العفاريت الذي أحفظه، وردد هو طلسمًا بصوت عال، كلمات أعرفها، أجل، إنه طلسم الوحوش وتحضيرها، أحفظه لكن لا أتذكره جيدًا من فرط الرعب، ثم إنني اهتممت بحفظ طلاسم الحماية أكثر من طلاسم إلحاق الأذى كما صنفتها كي أنفي نظرة المجتمع عني. وعادت المرأتان وحجمهما يتضاعف، عادتا أكثر قوة، أكثر عنفًا، كنت قد نسيت الخوف منذ زمن،

أنا خائف حقًّا هذه المرة، كشرتا عن أنيابهما ثم غرزتاها في قدمي وأنا أصرخ عاليًا من شدة الألم والدماء تنهمر مني، ماذا أفعل وهل هي النهاية؟ لقد تمكن مني ولن أنجو هذه المرة، ولكن لا، آآآآآآه صرخت عاليًا، الألم يعتصرني، قدماي لا أستطيع تحريكهما، وكأن أسدين ينهشان فيهما.

– «ساعدني يا جدي» صرخت عاليًا، «ساعدني»، ثم خطرت لي فكرة، يجب أن أستفزه، فقلت:

– «أيها المعتوه، لقد كان أقوى منك كثيرًا، ولم تستطع التخلص منه، أو هزيمته، وأنت على قيد الحياة، وأنا من نسله، وقوي مثله، ولن تقتلني هكذا بسهولة».

اغتاظ كثيرًا بالطبع، ثم قال بغضب شديد:

– «ماذا تقول يا حفيد المعتوه، كان باستطاعتي هزيمته، وبكل سهولة، وسأهزمك».

حاولت استفزازه أكثر قائلًا:

– «لا، لن تستطيع، ولو كان كلامك صحيحًا، أعطني فرصة أُخرى أُضمد جروحي وسأهزمك».

ضحك ضحكة عالية، ثم قال:

– «فرصة ثانية، ولو ألف فرصة أنت ميت، ميت على يدي، ومهزوم مثل جدك».

بادرته بقولي:

– «فلتثبت ذلك، آآآآه أبعدهم عني وأعطني بعض الوقت».

ضحك ضحكة أعلى من الأولى، ثم قال: «حسنًا».

ثم اختفت المرأتان، واستكمل:

- «ساعة واحدة، ومن بعدها ستلقى حتفك، آخر ساعة في عمرك، أرني ماذا ستفعل وكيف ستواجهني؟».

ثم اختفى كل شيء وحل الهدوء في المكان، آآآآه أنزف دمًا غزيرًا، والألم لا أكاد أحتمله في كلا ذراعي.

اضطجعت لدقائق، أستجمع ذاكرتي، لقد ابتعدت عن عالم السحر والطلاسم مذ أحببتها، لم أرد أن أنالها بالسحر، حاولت كسب قلبها بنفسي، وحينما فشلت أقلعت عن أي عادة أو طلسم كنت أردده من خلال السحر، مرت سنتان بعيدًا عن كل شيء، حتى إني سافرت محاولًا النسيان، ولكني فشلت، أنا أحبها، وكرهت جدي بسببها؛ لأننا مكروهون، ولم يوافقوا أن يزوجوها لي بسبب سمعة عائلتنا المعروفة بمعرفة أساليب السحر والأعمال، حدثت نفسي قائلًا:

- «عُد يا هشام بذاكرتك، أنت لست بضعيف، وتستطيع هزيمته» أجل، أجل، هذا هو، إنه الطلسم المفضل لدي، لقد كنت أتلوه لأهرب من كل شيء يزعجني لأتواجد في مكان غير مكاني، سأتلوه لأستعيد عافيتي فيه، هذا هو الطلسم المناسب الآن، لقد نقلني لعالمي المفضل هاهنا أجلس وسط الخضرة والماء، لقد عرف الملعون بكرهي للصحراء، وهي أحد مخاوفي، لذا وضعني فيها، آآآه، ما زلت أتألم، أجل تلك البيئة هي المناسبة، وتلك الزهور هي الأفضل لمعالجة جروحي، بسرعة قطفتها، وخلطتها مع تلك الأعشاب، كما تعلمت من قبل؛ أن الغابات والأشجار أفضل بكثير من الصحراء، وضعتها فوق

قدمي حتى أستطيع الوقوف عليها، فالوقت يداهمني، وتلك ليست النهاية، سأعود، سأعود لحياتي وسأتقبلها كما هي، وأحاول أن أعيش بدونها تلك التي أحببتها، وكدت أخسر كل شيء لأجلها، فهي أيضًا لم تتقبل حقيقتي ولا عائلتي، تلك الطلاسم كلها سأستحضرها في عقلي الآن، أقواها هو ذلك الطلسم القصير الكلمات، لم أجربه من قبل، ولكن قوته هائلة كما ذُكر في كتاب جدي، سأرددها:

- «طالو بالو تي تيطالوصاقيطالو».

شعرت وكأن قوة ما تسري في جسدي؛ حتى الألم لم أعد أشعر به، وتساءلت حينها: يا ترى ما حال باقي أقاربي العشر؟ عساهم بخير أقوياء يستطيعون الخروج من متاهات هذا الساحر الملعون، مرت حوالي نصف ساعة صرت بعدها أفضل حالًا، ولكني سمعت صوتًا، لم يتغير المكان، فليتغير أنا لا أعبأ به، سأهزمه، سأهزم هذا المعتوه، إنه ضعيف، سمعته يقول:

- «ها أنا «سيونامون»، قد عدت».

قلت له: «ولكن لم تمر الساعة التي وعدت بها».

ضحك عاليًا ثم قال: «وهل ظننت حقًّا أني سأمهلك كل هذا الوقت».

تمتمت: «لا يهم، سأهزمك كما هزمك جدي من قبل شر هزيمة».

اغتاظ بشدة، وقبل أن يبادرني بسحره، رددت كلماتي فتحولت نسرًا ضخمًا وطرت في السماء محاولًا الوصول لمصدر صوته، ولكن ظهرت لي تلك الأفعى التي جعلها تذهب خلفي في الممر، كانت

أضخم مما ظننت، ولكني لم أخف، طرت ناحيتها وحاولت إصابتها بمخالب النسر، وبالفعل أصبتها في عينها، وعادت للخلف خطوات، ولم تعد تستطيع الرؤية، ثم طرت مرة أُخرى، واقتربت منها لأجهز عليها، ولكنها التفتت، ثم ضربتني ضربة قوية في قدمي، فصرخت عاليًا، وسقطت أرضًا، لأعود لحالتي البشرية، وأنا أتألم، ولا أستطيع تحريك قدمي، وسمعته يضحك عاليًا بنشوة انتصار، ثم انقضت عليّ فتحركت يمينًا لأبتعد عنها وهربت منها، ولكنها عادت لتهاجمني، وتلك الأرض التي نقلني إليها قاحلة لا أجد أي شيء أستفيد منه، ولكن رأيت شجرة يابسة قريبة مني فزحفت بعيدًا حتى أستطيع أن أتلوَ طلسمًا، وبالفعل ما إن رددته حتى تحولت جذوع الشجرة اليابسة إلى فئران صغيرة بأعداد كبيرة تجري ناحية الأفعى، وظلت تعَضُّها وتأكل منها وهي تلدغ بعضهم، ولكن أعدادهم كانت مهولة حتى غطتها، فصرخ الساحر عاليًا، فوجدت الأفعى تنتفض، ثم جاءت جموع من الغربان في السماء لتأكل الفئران، وقد اختطفت جميع الفئران، وطارت بها بعيدًا، ولكن بعد فوات الأوان، فقد سقطت الأفعى بلا حراك، وهذا ما جعل الساحر «سيونامون» يغتاظ أكثر، وقبل أن يأتي بحركته القادمة، كنت قد تلوت آخر طلسم يمكن أن يؤذيه وينقذني، هو طلسم جعل الأفعى تنتفض رغم جروحها وتتحول ناحية صوته، ثم تنقض بما بقي فيها من قوة عليه ليصرخ عاليًا، وكأنه يتألم، لقد انقلب سحره عليه، ولم أر شيئًا بعدها؛ لأني فقدت وعيي، ثم وجدت نفسي بعدها خارج المعبد، وهم ينقلونني لسيارة الإسعاف، ولا يصدق أحد كيف خرجت من هذا المكان، فقد وجدوني فجأة خلف المعبد الذي توجد به المقبرة لا أتحرك وظنوني ميتًا.

وها أنا ذا خليفة «روميتابي» قد هزمت «سيونامون» مثلما فعل جدي من قبل، صحيح أني فقدت إحدى قدمي، ولكن أحل مكانها طرف صناعي، وهي ستبقى ذكرى معي لآخر عمري لتذكرني بما حدث مع مذكراتي تلك التي أتركها لأحفادي من بعدي، ليعرفوا وليحذروا، وقد تغيرت حياتي للأبد، ولم أعد أهتم بكلام الناس بعد الآن.

(تمت)

الرسام

«زين المالكي»

بقلم

أحمد أسامة

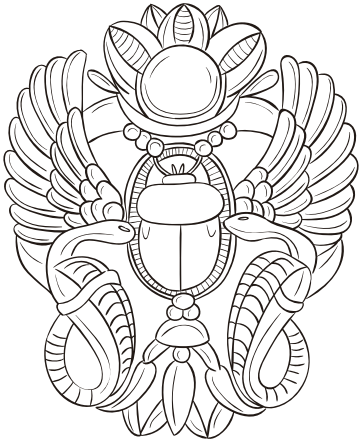

كنت أطير بالمعنى الحرفي بعد أن دفع بي ذلك الشعاع إلى إحدى الدوامات لتبتلعني في لحظات، سقطت على أرض حجرية صلبة، نظرت حولي بهلع وركضت ناحية الدوامة أحاول العودة من خلالها، ولكنها فجأة اختفت من أمامي.

حاولت أن أهدئ من روعي لعلي أجد مخرجًا من تلك المغارة الغريبة.

المكان من حولي غريب، الجدران ملونة بدرجات من الألوان المنسقة، حتى أماكن الظل والنور كان لها انعكاس غريب على الجداران...

وصلت لغرفة مظلمة على أحد جدرانها مستطيل مكتوب عليها عبارات، وحروف مرسومة بأشكال تبدو مألوفة، أخرجت بحماس الرسام داخلي دفترَ رسوماتي، وأخذت أدون بلهفة ما على الجدار من عبارات ورسومات غريبة، وهاجس يخبرني أنها قد تكون مفاتيح للنجاة من هذا المكان.

تركت الجدار خلفي وشرعت في إكمال طريقي حتى وجدت صخرة في منتصف غرفة أخرى، وقد وُضع عليها أدوات رسم وعلبة ألوان ينقصها اللون الأحمر!

أخذت الأدوات وعلبة الألوان وأكملت طريقي؛ الذي أخذ يضيق شيئًا فشيئًا، كما بدأت أسمع أصوات همس غير مفهومة، بدت وكأنها تخرج من باطن الأرض، وفجأة عم الظلام في المكان من حولي، وبدأت أشعر بضيق في التنفس، وكأن الهواء آخذ في التناقص.

كان الموت يلوح لي مُهروِلًا، وفكرة بشعة تقفز أمام وعيي الموشك على الانهيار، لقد باتت نهايتي وشيكةً، عيناي تنغلقان رغم مقاومتي الرهيبة لتظلَّا مفتوحتين.

استمرت مقاومتي لآخر نَفَس توقعت أنني ألفظه، حتى هبت رائحة غريبة تشبه رائحة المقابر، هل مت فعلًا؟ أم تراني فقدت الوعي فقط، هل انتهى أمري بهذه السرعة؟ تغير المكان من حولي في سرعة غريبة، وكأنني أشاهد فيلمًا في التلفاز، لأجد نفسي في غرفة جديدة، لقد عاد تنفسي ليصبح طبيعيًّا، نهضت من مكاني أتأمل الغرفة الغريبة، وعقلي لا يستوعب كيف تغيرَت معالمها فجأة، ماذا يريد مني ذلك الساحر الملعون، ولماذا يفعل بي هذا؟

أثار انتباهي لوحة على أحد الجدران، اقتربت أتأملها، كان تحتها نقش من حروف وكلمات، أخرجت دفتري من جيبي لأدون المكتوب، تحسست جيبي مرة واثنتين، لقد اختفى، أخذت أقلب جيوبي كلها علني أجد ما وضعته آخرًا، انتابتني حالة جديدة من الذعر عندما لم أجده في أي مكان، نظرت حولي على الأرض لعلني أراه في أي مكان، ربما سقط مني بدون أن أنتبه، ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل الذريع.

انتظرت حتى هدأت وعدتُ أتطلع للوحة، وأنا أحاول تذكر ما كان مكتوبًا في اللوحة السابقة، كانت الألوان باهتة، شبه بالية، فدققت

النظر لأكتشف أن الرسم عبارة عن قضبان كأنها قضبان سجن ما، وظاهر يدين لشخصٍ ما تتشبث بالقضبان، شيء ما دفعني لأنظر خلفي بشكل مفاجئ، لأجد قضبانًا حقيقية قد وُضعت على مدخل الغرفة تمنع خروجي منها، أعدت النظر للوحة وبدأت بعقد مقارنة، وسقط قلبي في قدمَيَّ، وحقيقة الوضع المرعب تصفعني مرة بعد مرة.

أخذ عقلي يعمل بلا هوادة، كان شبه مستحيل بالطبع، ولكن مع الوقت بدأت بالتركيز، أخرجت الألوان والأدوات التي احتفظت بها وبدأت بتلوين اللوحة الباهتة، لم أدرِ لماذا بدأ الحماس يلهب عزيمتي المثبطة، ولكنني كلما انتهيت من جزء، شرعت في الجزء الذي يليه، ثم توقفت أمام ألوان اليدين، كانتا بحاجة للون الأحمر المفقود من ألواني، حاولت دمج اللون الأصفر والأزرق لأحصل على اللون الأحمر، ولكن المحاولة باءت بالفشل، زاد التحدي من عزيمتي، وضعت الألوان بسرعة جانبًا، ثم أخرجت أداة حادة كانت متواجدة مع الألوان، وقمت بجرح إصبعي، لأحصل على اللون الأحمر من دمائي، وأكملت التلوين.

فجأة تغيرت المشاهد من حولي، نفس المشاهد، نفس السجن ولكن بألوان زاهية، كما لونته في اللوحة تمامًا، فكرت: «ترى ماذا يقصد الساحر بهذا؟».

لفت نظري أطباق من الطعام والشراب في أحد الجوانب لم تكن موجودةً من قبلُ، ترددت في البداية، ولكن معدتي كان لها رأي آخر، فأخذت تطلق أصوات بائسة تطالبني بملئها، غلب الجوع حذري، فجلست أرضًا أتناول طعامي بشهية مفتوحة، فالتفكير بالخروج من هذا

المكان بحاجة لذهن قوي، والذهن القوي لا يجتمع مع معدة فارغة، بهذا المنطق أقنعت نفسي بالتهام كل ما هو مقدَّم لي، ثم اضطجعت أتأمل جدران الغرفة والقضبان، وأفكر في سبيل للخروج.

نهضت من مكاني وبحثت في كل شبر من أركان السجن لعلي أجد مسلكًا للخروج لأكمل المواجهة، ولكن الظلام كان مهيمنًا، لم يساعدني في البحث، حتى بدأت أفقد الأمل وتضعف عزيمتي.

أحسست بالتعب، فتمددت لأنال قسطًا من الراحة قليلًا، حتى غفوت ونمت نومًا عميقًا، صحوت بعد وقت لم أعرفه، فالزمن في هذا المكان لا يعني أي شيء، شيء غريب يحدث لي، أنا واثق أن عينيَّ مفتوحتان على آخرهما، نعم مفتوحتان، ولكن لماذا لا أرى أي شيء؟ هل أُصبت بالعمى؟

أخذت أتخبط في المكان وأضرب الجدران بيديَّ وقدمي، وأنا أصرخ بهستيرية:

- «ماذا تريد مني أيها الملعون؟! أخرجني من هنا!».

فجأة ظهر ضوء صغير، وكان مسلطًا على أحد الجدران، تنفست الصعداء لأكتشف أنني لم أُصب فعلًا بالعمى كما خُيِّل لي، ولكن تلك الغرفة الملعونة التي لا تدخلها شمس ولا هواء هي فقط مظلمة، وذلك الضوء المسلط أراه جيدًا، اقتربت وأخذت أتحسس تلك اللوحة البيضاء المسلط عليها الضوء بتركيز، كانت لوحة ملساء ليس مكتوبًا عليها أي شيء، نظرت حولي أحاول ربط الأحداث ببعضها، ثم خطرت لي فكرة، وأنا أحدق بالقضبان تارة وبيدي تارة أخرى، وشرعت في تنفيذها في الحال، رسمت مفتاحًا، وكدت أنهيه

باحترافية متوقعًا أن أراه بين يدي، فأستخدمه في فتح الباب، ولكن ما حدث صدمني حتى أنني وقفت أحدق باللوحة التي عادت بيضاء ملساء كما كانت، كأنني لم أخُط فيها خطًّا واحدًا، كررت المحاولة مرة واثنتين وثلاثًا، وفي كل مرة تعود اللوحة كما كانت، أعملت عقلي أفكر بجنون «ماذا يعني هذا؟».

استمرت حيرتي أيامًا على ما أعتقد، فقد مر وقت طويل جدًّا، حتى ظننت أنني سأهرم في هذه المغارة الملعونة، سأهرم ولن أموت، فالساحر الحقير يبقيني على قيد الحياة بالطعام والشراب الذي يوفرهما لي كلما استيقظت من النوم، ولولا فقداني لروح الفكاهة في هذه اللحظة لاعتقدت أنه يعمل على تسميني.

حلم غريب راودني تلك الليلة، لقد رأيت الطلسم، كان واضحًا بكل حروفه ورسوماته، استيقظت بسرعة وكأن يدًا ما وخزتني لأفعل، اتجهت للوحة وشرعت بنحت الحروف والأشكال فوقها بالآلة الحادة كما كانت في الطلسم تمامًا، تغيرت فجأة معالم اللوحة وتحولت لجدارٍ عاديٍّ كباقي جدران الغرفة، فشرعت برسم المفتاح مرة أخرى، وإذا به يقفز من الجدار ليقع بين يدي، نظرت له بذهول في البداية، ثم أخذت في القهقهة ضاحكًا، وأنا أحمله على رأسي وأقفز بسعادة راقصًا، ثم اتجهت للباب ووضعته في قفله، فإذا به ينفتح على مصراعيه.

ضربت على صدري بقبضتي كـ «كينج كونج»، وكأنني أصرخ في ذلك الساحر أنني الآن مستعد لأي تحدٍّ يضعني فيه، فقد عرفت السر أخيرًا.

عدت لألواني الأثيرة أقبلها، ثم وضعتها في جيبي بحرص؛ فهي ورقتي الرابحة.

كنت أركض مبتعدًا بسعادة لا توصف، وقد ملأني التفاؤل باقتراب النهاية، والتي حتمًا ستكون في صفي، لقد عرفت السر، عرفت السر...

لم أهتم بالظلام الذي كان رفيق دربي الطويل داخل المغارة، ولم أبالِ بتلك الأشياء الغريبة التي كانت تلامس قدميَّ في طريقي، حتى تلك الكائنات التي كانت تزحف على الجدران أكاد أشعر بأنفاسها الحارقة تخترق عنقي من الخلف.

فجأة توقفت مُسَمَّرًا في مكاني، فقد أضاء المكان فجأة باللون الأخضر، وانشقت الجدران ليخرج منها كائن غريب، لم أتبينه إن كان إنسانًا أم حيوانًا، أم مخلوقًا آخر غريبًا، حتى ملامحه كانت مشوشة، ولكن صوته الذي يشبه هطول المطر على سقف من الصفيح كان يتلو تعاويذ وصوته آخذ في العلو شيئًا فشيئًا.

ارتفع جسدي عن الأرض، وكأن هناك من يرفعني، بل ويغللني بسلاسل خفية لا أراها، ثم فجأة هجم علي شيء لم يكن مرئيًّا أطبق على عنقي، وألقى بي بعيدًا، فاصطدمت بجدار خلفي ووقعت على الأرض، اقترب هذا الشيء مني مرة أخرى، كان ما يزال يتلو تعاويذ بلغة غريبة، وأخذ يتحسس ملامح وجهي، وقد بدأت ملامح وجهه بالوضوح، شكله كان مرعبًا لم أتخيل أن أرى مخلوقًا بهذا المنظر القبيح، فأغشي عليّ.

أفقت من سُباتي، وما زلت أشعر بهذا الشيء الخفي الذي يمسك بخناق عنقي، أما عن الكائن فقد اختفى تمامًا، حاولت أن أنزِع عني ما يخنقني، لكني فشلت، فكيف لي أن أتخلص من قيود خفية لا أراها!

بحثت في جيبي عن الألوان ربما أجد فيها خلاصي كالعادة، ولكن هذه المرة ويا للعجب وجدت دفتري والذي كنت قد فقدته، لقد ظهر مرة أخرى كما اختفى، أخذت أقلب في صفحاته سعيدًا بفرحة اللقاء، ولم أبالِ عندما لاحظت صفحتين مقطوعتين منه، كل ما يهمني الآن أن أتخلص مما يحول بيني وبين تنفسي بشكل طبيعي.

جُنَّ جنوني ومحاولاتي تبوء بالفشل، وبدأت أصرخ مناديًا ذلك الساحر وأستجديه أن يقتلني ويريحني من هذا العذاب.

أسندت ظهري إلى الجدار وأنا أتخبط داخليًّا من الألم، ثم أخرجت الألوان وبدأت أرسم سلاسل فوق عنقي كما تخيلتها، ولكن من مادة هلامية حتى أستطيع تمزيقها، ولدهشتي نجحت التجربة وتخلصت من تلك السلاسل الملعونة، ركضت بكل عزيمتي مصممًا على إنهاء تلك الرحلة بأسرع وقت ممكن قبل أن أُصاب بالجنون، استوقفني باب مغلق، تلفت حولي، كان السبيل الوحيد للتقدم، ترددت ثم فتحته ودخلت.

كانت غرفة أخرى من غرف المغارة العجيبة، ولكن كانت أكثرهم عجبًا، كان يشتعل بمنتصفها نارٌ بيضاء اللون، بينما الغرفة من حولي أخذت درجات ألوان النار الحمراء، وكأن كل شيء معكوس في هذا المكان، انتابتني فكرة مثيرة، أخرجت هاتفي النقال واستخدمت خاصية التصوير وبدأت في تصوير المكان، لأُفاجأ بعودة كل الألوان لطبيعتها، ولم أكد أفرح بنجاح فكرتي وظني أنني تغلبت على الساحر في هذه أيضًا، لأفاجأ بعشرات الأزواج من العيون تنتشر بالمكان، لا أعرف من أين جاءت، نظرت إلى النار، والتي كانت مشتعلة في

شعلة يمكن إمساكها باليد، أخذتها بسرعة لأحمي نفسي من تلك الأعين حتى لا تقترب مني، فقط تحدق بي وتتحرك ببطء في اتجاه أحد الجدران حتى اختفت داخله.

ولكن كل تلك الأعين كانت تحمل لونًا واحدًا إلا زوجًا منها كان مختلفًا عن البقية، تبعتها متعجبًا كيف اختفت داخل الحائط، مددت يدي بحذر لأجدها قد عبرت الجهة الأخرى، فاستجمعت شجاعتي وأغمضت عيني، ودفعت نفسي داخل الجدار، فوجدت أنني دخلت إلى غرفة محكمة بها درج صغير، تسلقتُه لأكتشف أنه لا يؤدي إلى أي شيء، عدت إلى الغرفة مرة أخرى، حاولت اختراق الجدار مرة أخرى عائدًا، لأفاجَأ أنه عاد صلبًا وفشلت في اختراقه، بدأت الجدران تقترب من بعضها والمكان يضيق، حتى الهواء، كان آخذًا في التناقص.

حاولت البحث عن منفذ هواء دون جدوى، اختنقت وانهارت قواي في أحد الأركان عاجزًا عن الحركة، أقنعت نفسي أن أحاول مرة أخرى، أمسكت بالألوان وبدأت أرسم درجًا أعلى من السابق، ثم تسلقتُه بصعوبة، الأوكسجين كان على وشك النفاد، ورئتاي ستنفجران في أي لحظة.

بمعجزةٍ ما في النهاية نجحت في الوصول إلى أعلى الجدار، نظرت خارجًا بعد أن استنشقت الهواء أخيرًا، لا أعلم من أين جاء، لم أهتم إلا بأنني أخيرًا أتنفس...

بعد أن استغرقت كل وقتي في الاستمتاع بالهواء النقي يداعب رئتيّ، بمعزوفة عشق لا يفهمها إلا من كان على وشك الاختناق مثلي، لاحظت صورة مرسومة فوق بعض الصخور المترامية بعيدًا عن

الجدار الذي تسلقته، نزلت أتفقد الصورة، والتي كانت تبدو مرسومة بدقة شديدة أبهرتني، أسفل منها كانت نقوش لطلسم آخر، تحسسته بيدي بانبهار، وفجأة انشق الرسم نصفين فتقهقرت إلى الخلف أراقب ما يحدث بذهول، فجأة خرج منه صندوق خشبي، تصاحبه أصوات همس آخذة في العلو، حتى أحسست أن أُذُنَيَّ ستنفجران من قوتها، حاولت أن أغطي أُذُنَيَّ لأمنع عنهما الصوت، ولكني فشلت، إنه يخترق كل الطبقات، حاولت بسرعة أن استخدم الألوان، كنت أُلَوِّنُ أي شيء، وكل ما بطريقي، حتى الصندوق الخشبي، دون وعيٍ بدأت ألون عشوائيًّا، الأصوات تكاد تصيبني بالجنون، شيء ما كان يخرج من الصندوق، حاولت التدقيق في ملامحه، لم أرَ إلا عينين مضيئتين باللون الأحمر، ثم فجأة اختفى كل شيء وأضاء المكان.

لوحة أخرى ظهرت على الجدار، أسفلها طلسم مكتوب عليه:

- «إن فعلت شيئًا ستسوء أمورك وإن لم تفعل ستزداد سوءًا»

ثم بجوار الكلمات مكتوب رقم خمسة، ماذا يعني هذا الرقم وهذه الكلمات؟ أصابتني حيرة شديدة، تبًّا لتلك الأُحجيات الغريبة التي يوقعني فيها وتبًّا له.

لكنني بقيت في المكان لم أتحرك؛ خائفًا من خوض أي مغامرة داخل غرفة أخرى، يبدو أن يومًا آخر قد مر، لقد خرجت تلك الأصوات مرة أخرى بصوتها العالي المؤذي، حتى أنني ظننت أنني أُصبت بالصمم، لا أسمع، حتى صوتي فقدته، ثم عاد كل شيء من جديد، وكأنه لم يكن، نظرتُ إلى الطلسم، لقد اختفى رقم خمسة وحل محله رقم أربعة:

- «يا إلهي هل هذا عد تنازلي، ما الذي ينتظرني إذن في اليوم الأخير».

حاولت أن أستجمع نفسي.

اليوم الثالث:

أشياء غريبة تتحرك فوق أقدامي، ثم عجزت عن تحريك أي من أطرافي، لقد أُصبت بالشلل، في اليوم التالي يعود كل شيء لما كان عليه، حتى وصلت إلى اليوم الموعود؛ اليوم الأخير رقم واحد، انتظرت بشغف ولهفة لأعرف ما الذي سيحدث فيه.

أصبح المكان محاطًا بجدران بيضاء اللون، حسنًا الساحر يريد أن يلعب معي، لقد قبلت التحدي، ولكني هذه المرة سأرسم مفاجأة لن يتوقعها، «المقبرة»، نعم أخرجت الألوان وانهلت بالرسم حتى تورمت يداي، لكني لم أكترث، رسمت كل شيء أتذكر تفاصيله جيدًا، نعم رسمت اليوم الأول لدخولنا إلى المقبرة.

ثم اجتزت بسهولة الحائط الذي قمت برسمه، واستطعت أن أعبر، وبالفعل وجدت نفسي قد عدت إلى المقبرة مرة أخرى، يا إلهي! لا أصدق نفسي، هرولت أجري خارجًا كالمجنون، أخيرًا استطعت الهرب، فليذهب الساحر والسحر كله إلى الجحيم.

(تمت)

ميزان ماعت

«البروفيسور «مفرح»»

بقلم
ميرفت البلتاجي

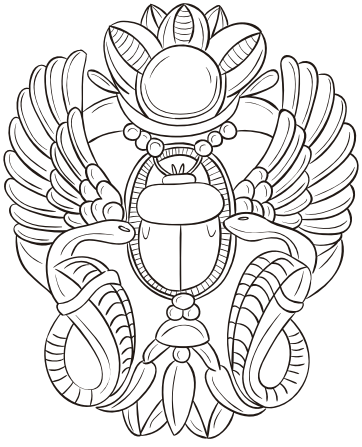

ترى من سيأتي عليه الدور...

وقفت أترقب المجموعة حولي، من سيكون التالي؟! ما الذي يحدث لمن يصيبه ذلك الشعاع الأحمر؟

ارتفعت الهمهمات الخائفة عندما عادت شعلة الضوء الأحمر تتوهج من جديد، الجميع يتلفت حوله محاولًا إيجاد طريق للهرب، ولكنهم كانوا كالفئران في المصيدة، ولكن يبدو أن الشعاع اختار ضحيته هذه المرة بدون تفكير...

كنت أنا...

أين أنا؟! ما هذا المكان الغريب، وتلك الرائحة المعتقة الغريبة؟ مزيج من البخور والأعشاب العطرية المحترقة.

رأسي ثقيل ولا أستطيع فتح عينيَّ، وكأن جاثومًا قابعًا فوق أجفاني، حاولت مسح عينيَّ بيديَّ، ولكن لسبب ما أكاد لا أشعر بأطرافي الأربعة، هل أصبت بشلل أثناء نومي؟ ما الذي يحدث لي؟ هل سأموت وحيدًا في فراشي ولن يشعر بي أحد وسيتعفن جسدي قبل أن يفتقدني البواب في موعد مرتبه الشهري؟!

أخيرًا بدأت أجفاني ترتجف برعشة سيطرت عليها في مقاومة باسلة لمصيري الذي تراءى لي، ولكن هذه ليست غرفتي، أين أنا؟!

تلفت حولي بفزع، أحاول تحريك أطرافي ليصل رعبي للذروة، فقد كنت مشدود الوثاق من أطرافي الأربعة، فتحت فمي بالصراخ لأكتشف أن صوتي غير مسموع، وكأن المكان من حولي خال من الهواء، ولكنني أتنفس.

استدعيت ممالك الهدوء، ونظرت لصدري واستمررت بالتحديق لحظات ولم أصدق ما تراه عيناي، لقد كنت عاريًا تمامًا، تملكتني هستيريا الفزع وأنا أحاول باستماتة هذه المرة التحرر من قيودي، تواكبها صرخاتي التي علا صداها داخل جسدي المقيد ولم تصل حتى لأذني.

توقفت لاهثًا عند سماعي لأصوات تقترب، أشاعت انفراجة أمل الشعور بفوضى من الراحة المؤقتة سرت في جسدي كألسنة البرق الوامضة في عتمة الظلام الحالك.

هممت بالصراخ مرة أخرى طالبًا المساعدة عندما تذكرت أن صوتي أخرس، لا شك أنهم سيقدمون لي المساعدة عاجلًا أو آجلًا، إلا إذا...

ومرة أخرى تتحقق أسوأ مخاوفي، وكانت أكثرها بشاعة على الإطلاق.

لا شك أنني حبيس كابوس ما، وبعد قليل سأستيقظ وأجد نفسي داخل شقتي الفارهة المطلة على النيل.

كانوا أربعة أشخاص، هذا العدد هو الذي استطعت حسابه وأنا مستلقٍ في مكاني مقيدًا على الطاولة الخشبية، كانت ملابسهم عجيبة الشكل، لم يستديروا نحوي بعدُ لأتعرف على أشكالهم، ولكن

ملابسهم تبدو غريبة جدًّا وشاذة، كانوا يتهامسون مع أوسطهم وأطولهم قامة برأسه الغريب الشكل، ولكن لسببٍ ما بدا كل ما أراه غريبًا حولي مألوفًا بشكل ما.

حاولت إخراج أي صوت ينبههم لوجودي، تملكني عِفريت اليأس القبيح، عندما باءت كل محاولاتي بالفشل، توقفت عن إصدار أي حركة وبدأت أستمع لهمساتهم، وبعد لحظات كنت بدأت بالاستيعاب البطيء، إنهم لا يتحدثون بأي لغة معروفة، أو أي لغة حية على الإطلاق.

حركت رأسي بالرفض علَّني أوقظ نفسي من هذا الكابوس، وازدادت حركاتي عنفًا عندما توقفوا عن الهمس، وبدءوا يستديرون نحوي، وبلغ بي الهلع للذروة، ووجه «أنوبيس» إله العالم السفلي عند قدماء المصريين يتطلع نحوي بابتسامة شامتة غريبة، يشاركه الكهنة الثلاثة المحيطون به، الآن فقط أدركت ماهية المكان المحيط بي، خاصة عندما بدأ الكهنة بالالتفاف حولي ووقع نظري على الجرار الأربعة الفخارية الكانوبية والمحفورة على هيئة أولاد حورس الأربعة؛ لقد عرفت أين أنا، أنا في غرفة التحنيط، وتلك الهمهمات التي أسمعها هي الصلوات التي يدندن بها الكهنة أثناء عملية التحنيط.

أغمضت عينيّ بقوة وأخذت أتمتم تعاويذي الخاصة متوقعًا أن أستيقظ في أي لحظة من هذا الكابوس، ولكن تلك النبرة المرعبة أرغمتني على فتح عيني، لأرى «أنوبيس» يحدثني باللهجة الهيروغليفية القديمة، لقد درستها وأعرفها كتابةً وقراءةً، ولكن لم أظن أنني سأفهم مفرداتها عندما أسمعها:

– «نعم أيها الشقي، أنت تعيش كابوسك الخاص بك ولعنتي، أدركت أنك تعرفني جيدًا، تعرف من هؤلاء».

ثم أشار للكهنة الثلاثة حليقي الرءوس، المتسربلين بلفائف من القماش عديمة اللون، وتابع بهدوء دون أن يمسح ابتسامته المقيتة عن قناع وجهه، والذي يبدو وكأنه حي وكأنه وجهه بالفعل:

– «وهذه بالطبع كما تعرف، غرفة التحنيط، نعم وهذه الجرار الكانوبية للحفاظ على أحشائك النجسة».

وقهقه بضحكة قوية اهتزت لها الجدران وكادت أن توقف قلب «مفرح» المسكين، وهو يحاول بشتى الطرق أن يتحدث بلا جدوى، اقترب منه «أنوبيس» وتظاهر بأنه يسمعه:

– «هل تقول شيئًا؟ لا أسمعك، بالطبع لن يسمعك أحد فقد سلبتك قدرتك على الكلام، لعلك تفكر جيدًا بجرائمك التي استحققت عنها بجدارة عقابك البشع هذا، ماذا؟ لا تعرف ما هي جرائمك؟ لا شك عندي بذكائك، أنت تعرفني أكثر من أي مخلوق آخر، فقد كنت محور دراساتك لسنوات عديدة، ولعلك تدرك جيدًا أنني عندما أقرر عقاب أحد ما، لا أتراجع أبدًا، هيا ابدءوا بتحنيط هذه الجيفة».

قفزت عيناي هلعًا من محجريهما وأنا أحاول التخلص من قيودي، بينما يقترب مني أحد الكهنة بتلك الآلة المعدنية التي أعرفها جيدًا، والتي سيخترقون بها أنفي وصولًا لمخي ويخرجونه منها، أوقفهم «أنوبيس» في آخر لحظة بعد أن سرت قشعريرة المعدن البارد في جسدي العاري:

– «مهلًا، هل ترغب بالدفاع عن نفسك، لا يهمني سماع صوتك المقيت بأكاذيب أنا في غنى عن سماعها، ربما السؤال الأهم

هو كيف حصلت عليك على مائدتي المفضلة، هل يشبع فضولك لو أخبرتك من تكون أنت؟ أرى التساؤل يقفز من محجريك، حسنًا أنت أحد أحفاد الخائن «ريموتابي»، وما جاء بك هنا هي لعنة «سينامون»، عدوه اللدود، وعملك الأسود، تدنيس قبور أجدادك ونهبها، طمعك وجشعك ونفسك الدنيوية اللئيمة جاءت بك على مائدتي، لم تردعك طلاسمنا، ولم تتعظ بلعناتنا لمن سبقك بالنهب والسرقة، والآن حان الوقت لتكون أنت المنهوب، نعم لقد حكمت عليك أن تدنس وتنهب من قبل الرعاع؛ عقابًا لك على كل ما فعلته بقبور أجدادك، الآن ابدءوا، أريد أن أرى محتويات رأس ذلك الخنزير مهدورة تحت أقدامي، أحب أن أذكرك أنك لن تموت، وستشعر بكل ما يفعلونه بك، كما لم تشعر بما فعلته بأجساد من نهبتهم واستحللت ثرواتهم التي ادخروها لآخرتهم، حتى دموعك لن تجدي الآن».

ونفذ إله العالم السفلي وعده، حتى الموت الذي اشتهيته كما لم أشته أي متعة دنيوية في حياتي، لينقذني من هذا العذاب لم أنلْه.

امتدت الكلَّابة المعدنية مرة أخرى بدون الحرص المعهود الذي قرأت عنه من قبل كهنة التحنيط، دمعت عيناي بشدة وهي تخترق مجاري أنفي وينتفض كل جسدي بألم، لم أحلم حتى بوجوده، وبحنكة البارع أخذ الكاهن يلوي ذلك الذراع المعدني، وكأنه يقلب محتويات رأسي كما يقلب مخ البيض مع صفاره داخل البيضة، التخيُّل كان مستحيلًا، فما بالك بأن هذا يحدث لك حرفيًّا، وأنت ما تزال على قيد الحياة، أعتقد أنني لو كنت أستطيع الصراخ لكنت فقدت حنجرتي بالفعل.

وبعد أن حوَّلوا مخي لهلام قاموا بتقليب جسدي لأرى بعيني ذلك النزيف الدموي بكل محتويات رأسي يخرج من فتحتَيْ أنفي كالسيل، أعادوا جسدي مرة أخرى لأرى ابتسامة «أنوبيس» الشامتة وهو يشير لهم بأطراف أصابعه ليتابعوا:

– «بالطبع تعرف ما سيلي، سيشقون جانب بطنك ويخرجون أحشاءك، ثم سنغسلها بالنبيذ والمر، ثم سنجففها بملح النطرون ونلفها في لفائف الكتان، ثم سنحفظها في هذه القدور الأربعة، التي تحمل أشكال رءوس أبناء حورس.

جسدك بعدها سيصبح كالدجاجة المنتفة الريش والأحشاء، ستجفف وتغسل بمياه النيل، تعلم جيدًا أن هذه الإجراءات تستهلك وقتًا طويلًا، بما أننا داخل لعنة «سينامون»، سنختصر الوقت وستظاهر أنه يمضي.

عاد خيالي يصور لي ما سأكابده بعد، ولساني الأخرس يصرخ مطالبًا بالموت الرحيم، ولكن الرحمة كانت أبعد ما تكون عن «أنوبيس».

أخذت أحرك رأسي بقوة، ونَصْل تلك الآلة المعدنية الحادة يشق بطني بسهولة كما لو كانت قطعة زبد طرية، كان لعابي يسيل بغزارة من فمي المفتوح متوسلًا، ولو بعض الصوت، لعل الصراخ يقيد بعض الألم المبرح الذي أتلظى بناره المحرقة، رفعت عينيَّ الداميتين للسقف، أطلب الرحمة وأحشاء بطني المبقورة تتدلى أسفل المائدة الخشبية وهم يتابعون إفراغها بهمة ونشاط، حشر «أنوبيس» رأسه بين الكهنة المنهمكين في عملهم، ثم امتدت يده داخل صدري وبأصابعه المعدنية الطويلة قبض على قلبي قائلًا:

– «عادة لا ننتزع القلب، فهو مركز الذكاء؛ الذي لا تحمل منه ولا ذرة معلومة الهوية، ومركز التفكير؛ الذي لم تستخدمه بحنكة رجل علم، ومركز للإحساس؛ الذي بالطبع لا تملك منه ذرة وإلا ما فعلت فعلتك الجائرة؛ لذلك فلا حاجة لك به في رحلتك للآخرة...».

انتزعه بوحشية دون أن يبالي بتلوي ذلك الجسد الفارغ ثم وضعه جانبًا وهو يرمقني بتلك النظرة التي لا تعني إلا المزيد من العذاب، ثم تشدق بكلماته وكأنه يتغنى بها:

– «هل تعرف ما سنفعله بقلبك هذا؟! هل تظنه سينجو من ميزان ماعت؟! ماذا تظن؛ أي كِفتي الميزان ستكون أثقل؛ ريشة ماعت، أم قلبك الصدئ؟».

أتبع جملته المتشدقة قهقهة ساخرة عالية ارتعد لها ما تبقى من فرائصي.

لم يتبق من جسدي إلا هيكل خاو، أي عاقل لا يسمي ما يحدث إلا دربًا من الجنون، الألم لا يمكن وصفه، سأستيقظ من ذلك الجاثوم القابض على روحي، وسأحتفل بانتصاري على «أنوبيس»، لا يوجد ما يسمى بلعنة الفراعنة.

اقترب «أنوبيس» بعد أن أمر الكهنة بالتراجع، حرك أصابعه كما لو كان ساحرًا على وشك تقديم فقرته المفضلة التي يجيدها:

– «والآن، طقس الفم والعينين، تعرف أنها من طقوسي المفضلة، لك أنت أيضًا، فأول شيء تمتد يدك القذرة لنهبه هي جواهر العيون والفم، نحتفظ بها لتعين موتانا على الحياة بعد الموت، لذلك تذكر جيدًا ما فعلته، وما ستفعله».

(فتح فمه بسهولة وأسقط فيه جوهرة بالكاد استطاع إغلاق فمه عليها، ثم أغلق عينيه بجوهرتين أقل حجمًا، والعجيب أنه كان ما يزال يستطيع الرؤية).

بدأت الشعور بجفاف جسدي يسري في سرعة رهيبة، وكأنني عود حطب تُرِك تحت شمس الصيف الحاصدة لشهر كامل تمتص منه غضاضته حتى ينثني على نفسه، حتى تحولت لمومياء مشوهة.

ثم جاءت رائحة زيت الراتنج وأدركت أنهم في المراحل الأخيرة لتحنيط جسدي، وما زلت حيًّا لا أذوق إلا الألم.

بدأت لفائف الكتان تغطي جسدي في آخر مرحلة، وبعد كل عدة لفات يتم حشر طلاسم وتعاويذ في أوراق بردي، ربما لو كانت ملامحي ما تزال ترسم جيدًا إحساسي لرسمت ابتسامة متهكمة، مَنْ غيري يعرف سر تلك التعاويذ.

اقترب وجه «أنوبيس» بابتسامته القميئة:

- «مرحبًا بك في رحلة الخلود، سنضعك الآن داخل التابوت ومعك كل ما تحتاج إليه في رحلتك للآخرة، وأتمنى ألا يعثر على مقبرتك النهابون الأنجاس».

وكان آخر ما رأيت الكهنة وهم يضعون القناع الذهبي على وجهي بعد أن وضعوني في التابوت.

لقد اختفى الضجيج، ما الذي سيحدث لي الآن؟ هل انتهى عقابي وسأستيقظ لأجد نفسي أرتع بين طيات فراشي الوثير الفاره في شقتي المطلة على نهر النيل العظيم.

هزات خشنة أيقظتني من غفوتي، فتحت عيني مهللًا بانتهاء

الكابوس، ولكن ابتسامة «أنوبيس» الشامتة أسقطت آمالي من أعلى قمة يمكن تخيلها:

- «والآن يا صديقي، حان موعد المحاكمة، بالطبع تتذكر تلك الطقوس، التي ستنتهي بك إما في جنة الخلد، أو الجحيم المعد لأمثالك، هل يعتريك بعض الأمل أن تنجو بما تحفظ من معلومات قد تنجيك، اطمئن، فرغبتي بإطعام قلبك لـ«عمعموت» أكبر بكثير من أمنياتك بالنجاة منه، ساعدوه ليقف في حضرة الآلهة».

امتدت أيدٍ كثيرة لم ير لها وجوهًا، رفعته من مرقده، تتطلع حوله بانبهار وذهول، القاعة دائرية الشكل، مهيبة برسوماتها ورمز الميزان فوق رأس الإلهة «ماعت»؛ إلهة الحق والعدل بتلك الريشة الكبيرة المميزة فوق رأسها، تحمل في إحدى يديها مفتاح الحياة «عنخ» وفي الأخرى صولجان الحكم، فكر بسرعة ورأى فيها حبل نجاته الوحيد. وحولها تراص الاثنان والأربعون إلهًا كقضاة في محاكمته، اعتصر مخه ليتذكر أسماءهم، فلن ينجو لو نسي اسمًا واحدًا، ثم أدرك أن مخه تم إفراغه تمامًا من رأسه، سالت دموعه وهو يدرك هلاكه الموشك، ازداد يقينه عندما سمع زمجرة كائن متوحش بجواره، كان يعرفه حق المعرفة، أدار رأسه ليلتقي وجهًا لوجه مع «عمعموت» برأس التمساح، وجسد الأسد، وجزؤه الخلفي فرس النهر، كان يرمقه بتلك النظرة التي تكون بين الوحش وفريسته، تخيلت قلبي يلوكه «عمعموت» بين أنيابه الشرهة، وكدت أسقط على ركبتيَّ من فرط رعبي، لولا تلك الأيدي التي تمسك بجسدي وتدفعني بجوار «أنوبيس»، والذي على ما يبدو يقوم بدور النائب العام في المحكمة.

تقدم «أنوبيس» وألقى التحية على هيئة المحكمة، وبدأ بالهجوم بدون مقدمات، ألقى التهم التي تلقي بي في قاع السعير للأبدية:

- «والآن حضرات الآلهة الموقرة، هذا هو الكائن الوضيع السمعة، سارق كنوز أمواتنا، وقد حرمته نعمة النطق، فكل ما سينطق به كذب».

رفعت «ماعت» يدها لتمنعه من الإسهاب، ومن خلف غطاء وجهها شعر بتحديقها:

- «أنت لا تستطيع النطق، ولكنني سأسمع أفكارك، أجب عن أسئلتي بأفكارك فقط، هل قتلت أحدًا؟ هل فضحت إنسانًا؟ هل سرقت؟ هل كنت تكسو العاري وتطعم الفقير؟ هل كنت تساعد اليتامى والأرامل؟ هل اشتهيت زوجة جارك؟

حاول بكل ما يملك من دموع الرد على كل أسئلتها، ولكن تلك التنهيدة التي غادرت أعماقها بأسف لم تكن مبشرة أبدًا، ثم ألقت نظرة حولها وسألته:

- «أيها المسكين، هل تعرف أسماء الآلهة الاثنين والأربعين الموجودين في قاعة المحكمة؟».

صرخت تلك الصرخة الخالية من أي صوت، فقط بفمي المفتوح والزبد يخرج منه كالسيل، رأت يأسي فحركت رأسها بأسى مرة أخرى:

- «حاول التذكر، سأنتظرك».

لهثت وأنا أجيل النظر في وجوههم المألوفة:

– «هذا «أوزوريس» جالسًا على عرشه، خلفه تستند إليه أخته «إيزيس» و«نفتيس» وأمامه يجلس أبناء «حورس» الأربعة الصغار، ولكن باقي الوجوه تكاد أسماؤهم تقفز من طرف لساني، ولم أنجح في تذكرهم، مما دفع بـ «أنوبيس» يصرخ بصوت مجلجل في القاعة:

– «اسمحي لي ربة العدالة والحق، لقد أخذ هذا الميت الحي أكثر من حقه في سعة صدوركم، وأثبت أنه متهم بكل تهمة تنوء بها أكتافه الواهنة».

هتفت «ماعت» بصوتها الجهوري:

– «بقي الاختبار الأخير؛ الميزان».

رفع «أنوبيس» يده الملطخة بالدماء بقلبي صائحًا:

– «ها هو معي، لنترقب جميعًا أي كفتي الميزان ستكون الرابحة، كفة ذلك القلب النجس، أم ريشة ماعت».

وتحرك بخيلاء حيث منتصف القاعة، وقد ظهر الميزان فجأة من العدم، في إحدى الكفتين كانت ريشة النعام أو ريشة ماعت، وفي الكفة الأخرى وضع قلبي، وتأرجحت الكفتان لعدة لحظات، حتى استقرت أخيرًا. قفز «عمعموت» مهللًا وركض نحو «أنوبيس» كقط أليف فاغرًا شدقيه مطالبًا بحصته، نظر «أنوبيس» للآلهة وقرأ الحكم في إيماءاتهم، قهقه بابتهاج وهو ينظر إليّ بنظرة شامته:

– «لقد تم الحكم عليك، قلبك الصدئ لم يحقق أي وزن يذكر أمام ريشة ماعت، أنت لم تقم بأي شيء طيب في حياتك، كنت رمزًا للحقارة والدونية والطمع، وهذا هو جزاؤك، وألقى بالقلب في الهواء ليتلقفه «عمعموت» ويفترسه بنهم، ثم أشار «أنوبيس» بإصبعه المعدني

نحوي، وأمرهم أن يعيدوني لتابوتي ويغلقوا عليّ المقبرة ويضعوا عليها حارسًا من الجان، لا يسمح بدخولها إلا لشخص واحد فقط، وضاع الاسم بين وطأة الضجيج، وهم يهمهمون بترانيم جنائزية باكية على مصيري الأسود.

هل يمر الوقت؟ مرات عديدة كلما عاد لي الوعي أحاول فتح عينيَّ متوقعًا رؤية سقفي المزخرف ذا النقوش الذهبية؛ والتي دفعت مبلغًا طائلًا من المال لصنعها؛ تلك الأموال التي حصلت عليها من...

اقتحم وجه «أنوبيس» خياله غاضبًا مكفهرًا:

– «الآن تذكرت، ولكنك لم تندم بعد، ما زلت تتوق إلى الخروج من كابوسك لتجد نفسك داخل بيتك الذي صنعته مما نهبته من كنوز لا حق لك فيها، تمتع بعذابك الأبدي».

بعد وقت مر كأنه دهر، بدأ يسمع أصواتًا، ولم يكن «أنوبيس» هذه المرة، هذه أصوات مألوفة، إنها أصوات حفر ودق معاول، إنهم النبَّاشون.

لم أدر هل أبكي من الخوف، أم من السعادة، هل سيتم إنقاذي أخيرًا؟!

هل أسمع ضحكات «أنوبيس» الساخرة، أم أنني وصلت لمرحلة الهذيان، وهل تهذي المومياء؟

ازداد الضجيج من حوله، واشتبكت الأصوات ما بين مهللين وآمرين بنبرات يعرفها جيدًا.

– «ابتعدوا، لا أحد يلمس المومياء، لا أحد يلمس أي شيء، اخرجوا جميعًا ولا أحد يخبر أي مخلوق عما وجدنا، وسيحصل كل منكم على ما وعد به وأكثر».

شيئًا فشيئًا بدأ الضجيج يتراجع ويحل الهدوء، إلا من نبش رفيق ينتزع بخبرة القناع عن الوجه.

لو كنت أملك أسارير لصرخت بابتهاج، إن أساريري تهللت، والهواء البارد يخترق أنفاسي، هل لا زلت أتنفس؟!

فتحت عيني أتطلع لمنقذي، لا شك أنه سيلاحظ حركات عيني وسيدرك أنني لم أمت بعد.

ولكن، من هذا؟ هل أتطلع في مرآة؟ هذا أنا، ولكن انتظر، لا، لا تفعل، لا تنتزع عيني، انتظر، أرجوك، أنت لا تفهم، لا تفعل.

وضع الجوهرتين في منديل من القماش، ثم تلفت حوله ليتأكد أنه ما يزال وحيدًا، ثم امتدت يده تفتح فمه وتستخرج الجوهرة الأخرى، دون أن يهتم بالكسر الذي تسبب للفك، ولا لباقي العظام وهو يبحث عن التعاويذ والأحجبة المختفية في لفائف الكتان.

- «أستاذ «مفرح»، ما هذا الاكتشاف العظيم؟!».

تنحنح «مفرح» وهو يخفي المنديل في جيب بنطاله ويقف وقد نفض التراب عن ملابسه:

- «بروفيسير «وهدان»، تفضل بالدخول، مع الأسف المومياء تم نهبها، تبدو في حالة يُرثى لها».

ركع وهدان بجوارها يتحسسها بحزن:

- «الأوغاد، الأوغاد».

- «اطمئن، باقي محتويات المقبرة ما تزال كما هي، يمكنك الاتصال بفريق مستر «هارت»، والتفاوض معهم على سعر مناسب، ولا داعي لتذكر لهم أن المومياء بحالة سيئة».

طل رأس «أنوبيس» من سقف المقبرة بنظرات غاضبة:

– «هل ترى ماذا فعلت؟ هل تشعر بفداحة جريمتك؟ منذ كم من الوقت كففت التفكير عن العودة لبيتك الفاره، كل أمنياتك حُصرت في رغبة الحياة فقط، الحياة التي كانت هدفنا ونحن ندفن موتانا، والتي حرمتنا منها بطمعك وجشعك وخيانتك، هل تطالب بالرحمة التي لم تعامل أجدادك بمثلها؟

هل تستطيع نصح نفسك الآن كي لا تتوغل في جرائمك؟ وهل ظننت أنك ستنقذ من العقاب؟ ولكنك لم تدرك بجموح خيالك أن هذا سيكون العقاب، مجرد جيفة منهوبة، لا تستطيع دفع الأذى عنك، حتى من نفسك. الآن استشعِر ولأول مرة رغبة حقيقية بالموت، رغبة لا علاقة لها بالهروب من الألم، وهذا سيكون عقابي الأخير لك، لن أمنحك لذة الموت، استعد للجزء الثاني من عقابك، تظن أن ما مررت به هو الأسوأ!».

مرة أخرى صدى قهقهات «أنوبيس» ترج جدران المقبرة.

صرخة تخرج من حنجرة ميتة منذ آلاف السنوات، وكأنها محشورة منذ ذاك الوقت.

راكعًا على الأرض في وضع الجنين، تناظره وجوه مكفهرة وتساؤلات همهمة لا أستطيع تحديد من يطلقها، فالجميع يتحدث في آن واحد، وذات السؤال يدور بين الجميع.

«ما الذي يحدث لنا؟ ما الذي حدث لك يا أستاذ «مفرح»؟».

وضعت يدي على فمي أتحسسه، هل غادرت صرختي المحتبسة فعلًا؟ تطلعت للوجوه المترقبة حولي بارتياب رافعًا ذراعي في وجوههم بدفاع غريزي:

– «من أنتم؟ وماذا تريدون مني؟ ما هذا؟ أنا أستطيع التحدث، لقد سمعتم صوتي، هل سمعتموه، هذا صوتي، أليس كذلك؟»

مصمصات الشفاه وهمسات مرتابة:

– «يبدو أنه أُصيب بالجنون».

تحرك أحدهم مبتعدًا عنه في الاتجاه الآخر:

– «اتركوه، سيهدأ بعد قليل، ليساعدني أحد لنرفع تلك المومياء ربما وجدنا تحتها حلًّا يخرجنا من هنا».

قفز «مفرح» كالقرد الممسوس وحال بينهم وبين المومياء صارخًا بهلع:

– «لا أحد يلمسها، لا أحد يقترب منها، سأقتل كل من يصيبها بأي أذى».

(تمت)

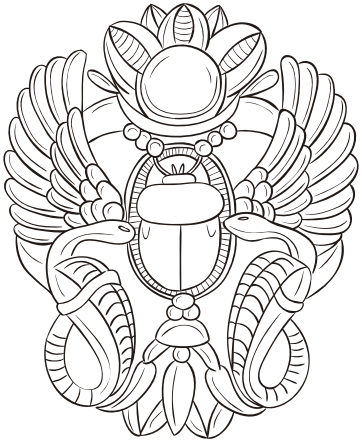

لعنة الدماء

«فيرونكا»

بقلم

أسماء ونان

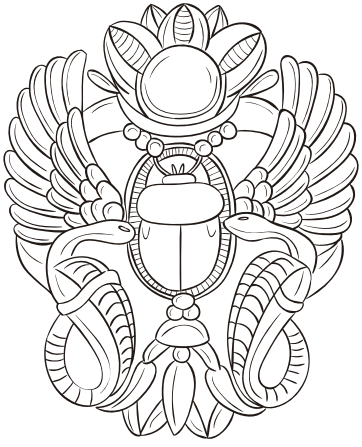

عندما غادرت بلدي، كانت فرحة غامرة، فرغم وصولي للأراضي المصرية لم أكن قد صدقت بعد أنني سأجتاز هذه التجربة الفريدة، حتى هذه اللحظة وأنا أقف أمامها؛ أمام المقبرة، ولكن بمجرد أن حضرتها، وقبل حتى دخولنا إليها أحسست بشيء غريب يشدني؛ وكأنني وسط مكان مألوف لي وليس أول مرة أشاهده، لا أعلم تلك الومضات الغريبة التي كانت تغدو وتروح على عقلي، وكأنني جزء من هذا المكان، لكني تغلبت على تلك الأحاسيس وانطلقت للداخل بعدما أقنعت عقلي بأن ما يراه مجرد خيالات من فرط لهفتي على خوض هذه المغامرة.

وسط ذهول من الجميع انفتح التابوت، وحينما خرج ذاك الساحر الفرعوني شعرت بقشعريرة تسري في جسدي؛ وكأنه قد ألقى بي من أعلى مبنى في بلدتي، وأحسست أنني أفقد الإحساس بأي شيء، وكاد أن يغشى عليّ لولا أنني احتميت برفاق المغامرة، لكن الأفظع من ذلك هو مشهد نقلنا لتلك الساحة الغريبة؛ وكأنه سيفتك بنا، لا أعلم ما ألجم لساني عن النطق، ظللت أشاهد توعده لنا وتلك المشاهد التي أوقعت قلبي وأنا صامتة لا أنطق؛ فقد كان وقع المفاجأة عليّ شديدًا.

ثم بدأ في ضحكاته التي تخلع القلب وهو يشير بعصاه فيختفي كل واحد تلو الآخر إلى المجهول، لا أعلم إلى أين؟

أغمضت عينيَّ وأنا أرتعش وأنتظر دوري، وسمعت حديثه وهو يتوعد رقم اثني عشر، ويدعي أنه يعد له مفاجأة؛ لم أكترث لأرقامه الغبية، فقد كنت ألوم نفسي على إقحام نفسي برحلة غير محمودة العواقب.

سكت صوته فجأة ففتحت عيني لأنظر إلى أين أُلْقِيَ بي أنا الأخرى، أو ربما لقيت حتفي، لا أدري إلا أن الرعب يشل أوصالي، والبرودة تجمد أطرافي، تسلحت ببعض الشجاعة التي ورثتها عن أسلافي وفتحت عيني وأنا أرمش بشدة؛ لم أجد حولي ملائكة الحساب، كان هو وأنا فقط، وهو جالس على عرشه وأنا ملقاة على الأرض أرتعد، كان يتأملني وهو يضحك:

- «فيرونكا» رقم اثني عشر، مرحبًا أيتها المصرية».

تلعثمت من هول الصدمة وأنا أحاول الشرح:

- «أنا فرنسية، ولست....».

لم يمهلني لأكمل حديثي، وثب إليّ في خطوة طائرة رشيقة للغاية ذكرتني بحركات أفلام مصارعي النينجا، كان يزمجر بتلك الأصوات التي تقتلع القلب:

- «حمقاء، أنتِ مصرية، ألم تخبرك أمك مَن يكون والدك؟».

ابتلعت ريقي، وأنا لا أصدقه بالطبع، كنت أحدق به في ذهول.

قهقه مرة أخرى:

- «نعم إن والدك مصري، حسنًا يبدو أنك لا تعلمين، ولا حتى والدك يعلم أنه حفيد لملك فرعوني».

ازداد اقترابًا مني، وأنا أحاول بكل ما أوتيت من قوة واهنة أن أشيح بوجهي عنه، بينما يمد أصابعه المشابهة لأصابع المومياوات ليتحسس وجهي:

- «تشبهين بشدة مذهلة «مايون ست»، ابنته الكبرى، يبدو أن ملامح الزمن لم تمحُ دماءك الفرعونية، تعلمين شيئًا! لك عندي أجمل هدية يا فتاة، لقد صنعت لجدك «تياح رع» هدية خاصة به، لولا هذا الساحر الأحمق الذي كان أمينًا معه، حسنًا الآن لا يهم فدماؤه تسري بعروقك».

انتفض بقفزة أعادت الرعب ليفكك ما بقي من أوصالي الصالحة للاستخدام، وبدأت عيناه تبيض وتكبر، حتى احتلت معظم وجهه بطريقة مرعبة، وبدأ يتمتم بكلمات غريبة، ويستدعي قوى لم أسمع بها من قبل، وكأنه يتلو صلاته الخاصة، ومع كل مقطع يعلو صوته حتى امتلأ المكان بشظايا رعدية أحاطت بي من كل اتجاه.

يبدو أنني أُغْشِي عليَّ، فقد أفقت وأنا أشعر بدوار شديد، فتحت عينيَّ، وأنا أرى ما حولي بصورة ضبابية بعض الشيء، حتى بدت الصورة أوضح، وما إن وقفت حتى وجدتني بداخل شاشة تلفاز عملاقة وأنا أنظر حولي بخوف، لا أعرف أين أنا؟ بدأت ألتفت يمينًا ويسارًا بسرعة حتى أفهم ما يحدث لي، وإذ بي أشاهد العالم كله ينظر، لا أعلم كيف ركضت ناحية زجاج الشاشة ظنًّا مني أنني سوف أعبر إلى الجهة الأخرى، لكني اصطدمت به ووقعت أرضًا.

ثم استجمعت قواي ونهضت مرة أخرى ألهث من الرعب، نظرت لما حولي بداخل تلك الشاشة، كنت في مكان مظلم بشدة،

كما أنني أرتدي ملابس رثة ممزقة، وشعري أشعث كأنني قد جئت من عصور ما قبل التاريخ، وأمامي مقابر مجهولة الهوية، تحسست خطاي وأنا أتجه ناحيتها لعلي أجد في الجهة المقابلة ما يخرجني من هذا المكان المظلم، فجأة تلبدت السماء بغيوم كثيفة، ملأت كبدها بالسواد.

زاد من رعبي قرقعة الرعد المستمر بدون توقف، أحسست أن السماء تقع على الأرض من شدة صوتها، ولم تلبث الأمطار أن انهمرت كالسيل لتغرق المكان في ثوانٍ فقط، جررت قدمي، حتى وصلت لأول قبر، على شاهده نقوش غريبة، مررت بجواره ينتابني نحوه خوف رهيب، وإذا بمخاوفي تتحقق، فقد خرج منه رجل يرتدي خوذة حربية ويحمل الرماح، وبدون مقدمات بدأ برميها تجاهي، ركضت بسرعة مراوغة سهامه القاتلة حتى لا تصيبني، وبطريقي مررت بقبور أخرى يخرج منها أشخاص غريبو الأطوار، ولكنهم متفقون جميعًا على رغبتهم في قتلي، كل واحد منهم بسلاح مختلف، حتى أصبحوا جيشًا جرارًا هدفهم الأوحد تصفيتي، وأصوات الناس خلف الشاشة تشجع بالتهليل والصفير وكأنهم جميعًا لن يهدءوا قبل أن يروني مضرجة في دمائي.

انهار جسدي وعجزت عن إكمال الهروب، خارت قواي وسقطت على ركبتيَّ، في نفس اللحظة التي اخترقت فيها جسدي رماحٌ وسهام وسيوف مزقتني إربًا، سال دمي وأنا واقعة على الأرض وكأنه أنهار مهولة من الدماء، أغرقت كل شبر بالمكان، وكلما اقتربت دمائي من هذا الجيش المهول تقهقر إلى الخلف في رعب حتى بدأت تحيط

بهم، وكلما لمست واحدًا منهم بدأ يصرخ ويحترق وكأنها نار تحرق أجسادهم.

حتى اختفوا واحدًا تلو الآخر، بقيت على حالي هذه لا أقوى على الحراك حتى رأيت شبحًا واقفًا أمامي يمد يده لي، لم أستطع رؤيته بوضوح، فمد لي يده بعد أن قطع بها جرحًا عميقًا وبدأت دماؤه تنزف، وقال كلمة واحدة: «اشربي».

أحسست أنني مصاصة دماء في أحد تلك الأفلام الغبية التي كنت مدمنة على مشاهدتها، ولكني ومع الألم والتعب الذي كان لا يفارق جسدي اقتربت منه وفتحت فمي، اعتقدت ساعتها أنه سيخرج مني أنياب لامتصاصه، ولكن لساني تحول إلى لسان أفعى طويل مدبب وكأن به إبرًا حادة بدأت تلتف حول ذراعه، وتمتص ما به، وكلما ارتشفت جزءًا قَوِيَ جسدي وبدأت أشعر أنني أقوى من ذي قبل، بل لقد تنفست بقوة ولمعت عيناي، وكأنني أحد تلك الكائنات الليلة، أدخلت لساني مرة أخرى وقمت من مكاني لأشكره فانحنى لي قائلًا: «في خدمتك مولاتي.»

تعجبت منه وسألته: «مَن أنت؟».

ابتسم وقام واقفًا:

- «أنا خادمك قاتل «سيونامون».

- «يا إلهي أنت، كيف...؟».

أردف حديثه قائلًا: «لممارسته السحر الأسود لعنت روحه إلى العوالم السفلية، لم يستطع «سيونامون» قتلك فاكتفى بجلبك إلى أحد تلك العوالم المظلمة، ما زال غير جيد» قالها باستهزاء.

- «ولكن لِمَ لَم يقتلني؟ كان بإمكانه جلبي إلى هنا».

- «عزيزتي الملكة، لا يكون بإمكانه إيذاؤك أبدًا، لقد تم تحصين دماء الملوك، لن تقدر عليهم السحرة أبدًا، أقصى آمالهم هي نفي الملوك إلى عوالمهم السفلية».

- «إذن لماذا تأخرت في إنقاذي من البداية؟».

- «ما لا يعلمه هذا الأحمق أن دمائي مرتبطة بدمائك، ما إن يكن الملك بورطة حتى يتم استدعاؤنا بسرعة».

- «حسنًا أخرجني من هنا».

تنهد ووضع يده على كتفي: «فات الأوان يا صغيرتي، فات الأوان».

- «كيف؟ أرجوك» كدت أقبل قدميه حتى يساعدني.

قطب حاجبيه قليلًا، ثم قال: «عليك كسر اللعنة».

- «كيف...؟».

- «عليك قتل الساحر».

- «أي دعابة هذه! كيف سأقتل الساحر؟ ثم هؤلاء الحمقى الذين يشاهدوني من خلال الشاشة يثيرون غضبي بشدة».

رفع يده فوق كتفي وحنى ركبته ورأسه أمامي «كل ما تشاهدينه الآن هو وهم صنعه الساحر بعقلك، حتى أنا نفسي بداخل عقلك».

لم أصدق حرفًا مما يقول، كيف يكون هو وهمًا، وكل ما حولي من صنع خيالي أو خيال ذلك الساحر المريض.

ابتسم لي وانحنى مرة أخرى:

- «عليك أن تفكري جيدًا يا مولاتي، فكري ثم أعطي الأوامر، تذكري هذه الكلمات جيدًا».

ثم اختفى!!!

نهضت من مكاني، وإذا بي أجد نفسي بتلك الساحة، لم أخرج منها بعد، والساحر ما يزال واقفًا أمامي، وما إن وجدني أنظر إليه حتى اغتاظ بشدة، وبدت عليه علامات الذهول، يبدو أنه لم يكن يتوقع أن أستفيق من تلك الأوهام التي زرعها برأسي.

وقفنا تجاه بعضنا البعض وكلٌّ منا ينظر إلى الآخر نظرة تحدٍّ، لا أعلم من أين جاءتني تلك الثقة، عليّ أن أفعل شيئًا.

نعم واتتني فكرة، لا أعلم هل ستنجح أم لا؟ ولكني حفيدة الملك، أغمضت عينيَّ وفتحت يدي على مصراعيها، وبدأت أستدعي باقي رفاقي، لا أعلم كيف ولكنني بمجرد أن فكرت بهذا الأمر حتى حدث حقيقة أمامي، كل من كان معي في المقبرة الأحد عشر جلبتهم جميعًا. إنهم يقفون أمامي الآن، ملتفين في دائرة دون حراك مغمضي الأعين، بينما أنا أتنفس بصعوبة، وقفت في المنتصف أهتف بأعلى صوت لي:

- «لن يعلم أحد بما سيحدث معي الآن، أنتم لن تتذكروا أي شيء».

ردوا جميعًا، وما زالوا مغمضي الأعين:

- «نحن طوع أمرك ملكتنا».

فهمت الآن حديث الساحر جدهم، فهمت لِمَ أخبرني أن أفكر وأعطي الأوامر.

أردفت حديثي:

- «حسنًا أيها الأقوياء، سوف نعيد هذا الساحر الأحمق إلى الجحيم، حيث ينتمي».

جَثَوْا على رُكَبِهم جميعًا واقتربوا مني، وقد خرجت هالات كهربائية وكأنها موجات من أيديهم في وقت واحد، وسلَّطوها نحوي، فوجدت جسدي كله يهتز وارتفعت في الهواء، ثم هبطت مرة أخرى، ولكني أصبحت أرتدي ملابس فرعونية مزركشة، وتاجًا يحمل رأسًا لأفعى الكبرى تشبه أفاعي الساحر، ولكنها بعين واحدة تخرج من لسانها، وما إن رأت أفاعي الساحر هيئتي تلك وأنا حولي السحرة حتى انفضوا هربًا إلى تلك الغيوم السوداء التي كست السماء.

كان منظر «سيونامون» مضحكًا، وقد جحظت عيناه وهو لا يصدق ما يرى، كيف استطعت جلب الجميع؟ كيف عرفت السر؟

أرى كل تلك الأسئلة في وجهه الذي بدا شاحبًا مصدومًا، فقابلته بابتسامة ورفعت حاجبي كعادتي حينما أشعر بالنصر، وأعطيت الأوامر للسحرة. اصطفوا جميعًا فتقدمت الصفوف إلى ذلك المتغطرس الأحمق «سيونامون» وهو ينظر لي في فزع بصوته الأجش:

- «كيف استطعتِ الخروج؟».

باغته وأنا أبتسم:

- «صمتًا، لا حديث في حضرة الملوك».

نظرت إلى السحرة وكل منهم قد تهيأ في شكل سحرة الفراعنة القدماء بتلك الملابس الفرعونية الجميلة، وبدءوا يزمجرون في وجهه، وأنا أتنفس الصعداء:

- «حسنًا سأجلس على عرشك أيها الساحر، إنه ملكي الآن، ولتبدأ المعركة».

صرخ الساحر، والتف ببراعة من حولهم وأخرج عصاه السحرية، وبدأ يضربهم، إلا أن كل واحدٍ منهم كان يملك عصا تشبه تلك التي يحملها جدهم، فبدءوا يضربونه جميعًا ضربة رجل واحد، لكنه كان قويًّا جدًّا وكان بجسده يستطيع التصدي للكل، تقهقروا جميعًا للخلف وكانت ضرباته هي من تعيدهم، وكأن بي في مشهد جدهم وهو يقوم بقتل «سيونامون»، ولكنهم لم يكونوا في قوته، وكأن قوته قد توزعت على كل واحد منهم، فلدى كل واحد جزء من تلك القوى.

انتفضت من مكاني وأنا أشاهد ما يحدث، لست ساحرة حتى أدخل معهم في المعركة، ثم فجأة، أمسك السحرة بأيدي بعضهم البعض في تشابك ملحمي عجيب، وصرخوا صرخة واحدة، وبدأت أجسادهم تتداخل، وفي لحظات تحولوا جميعًا إلى جسد جدهم الساحر الأكبر، ولكنه كان ضخمًا عملاقًا، ارتعد «سيونامون» وارتمى على الأرض من هول المشهد، فقال له الساحر الضخم:

- «حسنًا ستعم العدالة من جديد».

وبسط الساحر كفيه ثم أطبقها بقوة، فانفتحت الأبواب الأحد عشر جميعًا مرة واحدة وأمسك بـ «سيونامون» وكأنه يمسك بدمية، وبدأ يعتصره بقبضتيه، ثم قذف به، وبضربة واحدة ألقاه من يده فتحول إلى أشلاء، ودخلت كل قطعة من جسده على حدة في تلك الأبواب وأغلقت مرة أخرى دونه.

نهضت من مكاني وجثوتُ على ركبتي وانحنيت إجلالًا لهذا الساحر العظيم، فانحنى بدوره لي قائلًا:

– «عليّ أن أعيد كل شيء إلى نصابه مرة أخرى كما كان، وأمحو من ذاكرتهم كل ما حدث كما أمرتِ، لكنني سأعيد أحفادي إلى أبوابهم مرة أخرى».

تعجبت من حديثه: «ولِمَ ستعيدهم؟».

ابتسم لي: «عليهم أن يقرروا مصيرهم، أنا أثق بهم وبقوة بأسهم».

اختفى فجأة من أمامي، تبخر كأنه دخان فرَّقَتْه رياح عاتية. وقفت للحظة صامتة لا أعي ما حدث، وبدأت الأبواب تغلق وتختفي بدورها هي الأخرى، وكل ما حولي يتبخر وكأنه لم يكن.

رجعت مرة أخرى بملابسي وهيئتي القديمة ووجدت هاتفي ملقًى على الأرض، فانحنيت لجلبه فوجدته قد قام بتصوير كل ما حدث، كنت قد فتحت فيديو التصوير دون أن يشعر بي أحد حتى أسجل ما يحدث، لم يخطر ببالي تلك الأمور الفظيعة التي رأيتها، أعدت تشغيل التسجيل، لوهلة ظننت أنني أحلم، لكن هاتفي سجل كل شيء حقًّا، بدأت أضغط على الأزرار بغيظ أسرع المشاهد وأنا أرتعد، الآن الفيديو معي، لا أعلم ما الذي حدث لي، ولكنني تغيرت كليًّا، كنت أشعر بالحزن والغضب، لا بل بالخوف، شعرت بالخوف ومشاعر غريبة اجتاحتني، لا أعرف كيفية التصرف، أمسكت الهاتف وبقرار سريع ضغطت على زر الحذف بسرعة، نعم لقد حذفت كل ما قمت بتصويره، ألقيت الهاتف على الأرض فانكسر وأنا أنظر إليه وألتقط أنفاسي بصعوبة خوفًا، وكأن الملعون سيخرج من الهاتف مرة أخرى، ثم قمت بسحقه بقدمي بغيظ شديد وخرجت من المقبرة

وحدي، لا أعلم ما حدث مع الباقين، ولكنني كما قال جدهم: «أثق بهم»، أعلم جيدًا أنهم لن يتذكروا ما حدث معي، وأعلم أيضًا أنني ما عدت «فيرونكا» الفرنسية التي كانت قبل دخول المقبرة، أنا الآن مصرية، تلك هي حقيقتي التي أخفتها عني أمي، ولكن دمائي صارحتني بها. لا أعلم ما الذي ينتظرني بالخارج لكني مستعدة تمامًا له.

(تمت)

رفع «خالد» رأسه عن دفتره ليسأل الأستاذ «مفرح» الشارد بعد أن انتهى من قصته:

- «ألم تعرفوا مصير مَن لم يخرج من المقبرة؟ ألم تهتم الحكومة بالبحث عنهم؟»

ابتسامة ذاهلة تقوس بها فم «مفرح»:

- «مَن تقصد؟ الجميع عادوا، الجميع غادروا المقبرة».

هتف «خالد» بحيرة:

- «ولكنك قلت!!»

قفز «مفرح» واقفًا يضرب الأرض بقدميه:

- «ما أقوله ليس هو المهم، وما حدث بالفعل ليست هي الحقيقة، الحقيقة هي ما أعلن عنه سيادة الوزير في المؤتمر الصحفي، لا شيء، لقد دخل مَن دخل، وخرجوا جميعًا، ولم يحدث أي شيء، ولا يوجد أحد مفقودًا، والبروفيسير»مفرح» المدعي، ما هو إلا عميل دفعت له جهة أجنبية كي يظهر الحكومة والإعلام المصري بشكل سيء أمام العالم».

ثم فتح ذراعيه عن آخرهما وهو يعيد ويكرر:

- «هل سمعت...؟ العالم كله يصدق الوزير، أما «مفرح»، فهو كاذب عميل، ولو نشرت ما دونته في دفترك هذا ستصبح عميلًا مثلي، وسيدخلونك مشفى الأمراض العصبية والنفسية، ثم ستخرج ويعلنون أنك مجنون، أصابتك لعنة الفراعنة باللوثة».

وقهقه بهستيرية وهو يركض مبتعدًا، وكلماته تدوي في الشارع:

- «ولكنهم كلهم المجانين، والساحر سيعود لأنه لم ينته منا بعد».

(النهاية)

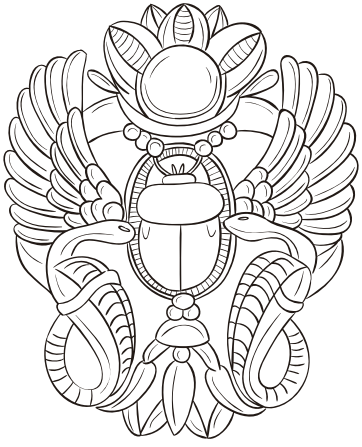

فهرس الموضوعات

قبل ٤٠٠٠ عام..... ٥

عام ٢٠١٥ .....١١

١- القربان الأول.....٣١

٢- مغارة دانيال ٤٩

٣- أقزام الكهف ٦٧

٤- المختار ٨١

٥- الكابوس الملعون ٨٩

٦- في حضرة الكونت ١٠٧

٧- الزواج المحرم ١٢١

٨- الموشوم ١٣٩

٩- انتصار الحفيد.....١٥٣

١٠- الرسام ١٦٥

١١- ميزان ماعت ١٧٧

١٢-لعنة الدماء ١٩٥